مختصــر الغزّال
في ذكر مناقب سيدي محمد بن عيسى
فحل الرجـــال

طُبع بعد مراجعة و تصحيح وإذن
فضيلة الدكتور الشريف:
السيد طارق بن السيد الحاج علي السراري الحسني الإدريسي
خادم الطريقتين العيساوية والرفاعية

مكتبة الجندي
٥١ سوق أم الغلام - ميدان سيدنا الحسين
القاهرة - مصر - ٠٢-٢٥٩٠١٥١٨

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

يطلب من الناشر

مكتبة الجندي

٥١ سوق أم الغلام - ميدان سيدنا الحسين

القاهرة - مصر ٢٥٩٠١٥١٨-٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على أفضاله وأنعامه، والشكر لله على نواله، وصل الله على النبي الأكرم والرسول الأعظم، سيدنا محمد وعلى آله البررة الأطهار؛ ما تعاقب الليل والنهار.

أما بعد ...

فقد كنت اطلعت على كتاب (النور الشامل) والمشهور بمختصر الغزّال، ولما كان هذا الكتاب من الأهمية بمكان، حيث أنه يتكلم عن حياة قطب زمانه وغوث وقته وأوانه سيدي محمد بن عيسى رضي الله عنه.

ولما كانت نسخ هذا الكتاب غير موجودة في وقتنا الحالي وربما لا يعرف الكثير من مريدي هذا القطب عنه شيئا، فقد طلبت من شيخنا فضيلة الدكتور السيد طارق بن السيد الحاج على بن سيدي الحاج المبروك السراري الحسنى الإدريسي، بمراجعة و إعادة طبع هذا الكتاب حتى يخرج بالشكل اللائق به، فامتنع أولاً فكررت وألححت في الطلب فأخذ بخاطري ووقر شيبتي، جزاه الله خيرا، وهذا لا يستغرب من أهل بيت النبؤة ومعدن المروءة حيث أنه رضي الله عنه من أسرة توارثت خدمة الطريقة من مدة تزيد عن 450 سنة خلف عن سلف نفعنا الله ببركاتهم وعلومهم آمين.

فقام سيادته مشكوراً مع كثرة مشاغله والتزاماته أعانه الله، بمراجعة وإعادة طبع هذا الكتاب بشكل جديد يليق بأهميته؛ كما قام بعمل شرح للمعاني التي قد تبدو غامضة وترجم فيه للرجال فخرج الكتاب على أبهى صورة وأجمل حلة.

جزى الله سيدي الشريف السيد طارق السراري عنا خير الجزاء، ونفع الله بهذا الكتاب كل من اطَّلع عليه، فهو بحق مرجع هام يوثق لسيرة رجل من الأولياء الكبار هدى الله به أمم من الخلق حتى استحق ان يُلقَّب بالهادي ابن عيسى رضي الله عنه فكان بحق نبراساً أنار الدنيا بعلمه وعمله مهتدياً بجده - رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم - رضي الله عنه وأرضاه ونفعنا بعلومه وأسراره.

كما أسأل الله جل في علاه أن يهدينا سواء السبيل، وأن نكون سائرين على أثر هذا القطب الرباني، وأن ينفعنا به دنيا وأخرى آمين.

خادم الفقراء العيساوية بزاوية سيدي يعقوب

(الزاوية الصغيرة)

محمد إبراهيم الوحيشي

طرابلس - ليبيا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القديم الإحسان والرحيم الرحمن، الذي خلق الإنسان علمه البيان، والذي أورد أولياء أنسه، وقربهم في كرامة قدسه، وخلع عليهم إنعامه فهم له حامدون، واختصهم بمحبته وأوقفهم على خدمته فهم علي صلواتهم يحافظون، اللهم لك الحمد كله، وإليك يرجع الأمر كله، ونصلى ونسلم علي صاحب اللواء المعقود، والحوض المورود، والشفاعة العظمى سيدنا ومولانا محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

أما بعد...

فإن أصل الولاية التقرب والمحبة، والولاية ضد العداوة، والولي في اللغة بمعنى القريب، وأولياء الله هم خلاصة المؤمنين الذين تقربوا من الله بطاعتهم واجتنبوا المعاصي في حياتهم، وسمي الولي وليا لموالاته للخير ومتابعاته للعقل، قال تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (إنا من عباد الله أناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانتهم من الله تعالى، قالوا: يا رسول الله أخبرنا من هم وما أعمالهم، فإنا نحبهم لذلك، قال: هم قوم تحابوا في الله بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس وقرأ هذه الآية: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾.

والقرب من الله استغراق في نور المعرفة فيصبح العبد حركته في خدمة الله، ومشاهدته في دلائل قدرة الله ونطقه ثناء على الله، ومجاهدته في طاعة الله. وأوضح ما يظهر به الولي أن يكون مستجاب الدعوة راضي عن الله تعالى.

ويتفاوت مقدار الأولياء ومكانتهم كل حسب ما رزقه الله سبحانه وتعالى من الإيمان، فمن كان أقوى إيمانا كان في باب الولاية أعظم شأنا وأكبر قدرا وأكرم قربا وهؤلاء لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

ومن هؤلاء الرجال الذين اختصهم الله بتلك الولاية الكبرى، من تردى برداء الشريعة وتحلى بأنوار المعرفة والحقيقة، الشيخ الكامل سيدي الهادي محمد بن عيسى الحسني الإدريسي رضي الله عنه وقدس سره العزيز، الذي أفنى عمره كله لإقامة شرع الله الحنيف ونشر تعاليمه على النهج الصحيح بلا تبديل ولا تحريف.

وإن كانت سيرة شيخنا قد تناولتها مصادر عديدة بحثا وتحليلاً، إلا أن تاريخه وتراثه لا يزالان بحاجة إلى من ينقب فيهما لاستخراج من الدرر ما كمن، ومن تلك المصادر كتاب النور الشامل في مناقب الشيخ الكامل والمشتهر بمختصر الغزّال لمؤلفه الولي العالم صاحب الوزارة والسفارة سيدي احمد المهدي الغزّال رضي الله عنه وقد ترجم له السيد محمد بن جعفر الكتاني في كتابه (سلوة الأنفاس) بقوله: الفقيه الأديب، الرئيس الأريب، السيد احمد بن الأديب الكاتب الفقيه السيد المهدي الغزّال كان رحمه الله فقيها أديبا بل كان آخر أدباء الوقت. اهـ

وتنطلق أهمية هذا الكتاب من أنه كتاب مناقب وسيرة من جمع ورواية احد رجال الطريقة العيساوية مع خطاء اعتقاد غالبية أبناء هذه الطريقة بأن سيدي احمد الغزّال قد كان تلميذا مباشرا للشيخ الكامل مع انه في الحقيقة كان قد أخذ مباشرة عن الشيخ سيدي عبدالسلام براده الفاسي رضي الله عنه كما ذكر الغزّال نفسه في أول كتابه هذا فقال: (وقد كنت دخلت في طريقة هذا الشيخ الأسمى، صاحب الجناب الأحمى في سنة اثنتين وستين ومائة وألف على يد الشيخ الفقيه النبيه الفاضل الكامل والإنسان العامل الخير الدين المحب الصدوق سيدي الحاج عبدالسلام بن سيدي احمد براده الفاسي كبير المقدمين بمدينة فاس بالعهد والصحبة وانتفعت به وبالطريقة المذكورة ظاهراً وباطنا والحمد لله رب العالمين) اهـ .

ولما تبين لنا انتساب صاحب الكتاب للطريقة العيساوية نذكر الآن اتصال سنده بالشيخ الكامل قدس الله سره حيث انه قد اخذ سيدي احمد الغزّال عن الشيخ سيدي عبدالسلام براده الفاسي، وسيدي عبدالسلام براده اخذ الطريقة بالعهد والصحبة عن العالم العلامة والبحر الفهامة سيدي عبدالمجيد المنالي الزبادي الحسني صاحب كتاب الطريق الوارية وستجد ترجمته مطولة في كتاب سلوة الأنفاس للكتاني وفي كتب تراجم علماء وصلحاء بلاد المغرب، وسيدي عبدالمجيد المنالي الحسني قد أخذ الطريقة عن الفرع الوارث صاحب الأسرار الظاهرة والأنوار الباهرة سيدي محمد أبو روان آل الشيخ الكامل، وهو اخذ عن والده سيدي محمد أبو مدين آل الشيخ الكامل، وهو أخذ عن والده سيدي عبدالسلام آل الشيخ الكامل، وهو اخذ عن والده سيدي علي آل الشيخ الكامل، وهو اخذ عن والده سيدي عيسى المهدي، وهو اخذ عن والده مؤسس الطريقة ومعدن العرفان والحقيقة الشيخ الكامل سيدي الهادي محمد بن عيسى الحسني الإدريسي قدس الله سره العزيز.

ولما كان هذا الكتاب من أقدم وأوثق كتب المناقب التي تكلمت عن الشيخ الكامل، كانت جميع أو أكثر الكتب التي جاءت بعده معتمدة عليه، ونظراً لقلة الاعتناء بتراث الطريقة أصبح الحصول على نسخة من هذا الكتاب غير متاح لكل أبناء الطريقة، حيث أنه من وجدت لديه نسخة من هذا الكتاب عزّ عليه نسخها أو أعارتها لأحد فصار من الأهمية بمكان تجديد طباعة هذا الكتاب، وكذلك وتحت إصرار وإلحاح الإخوان والاحباب من العبد الضعيف بأن أعطي لهم الإذن بتجديد طبع هذا الكتاب لتعم الفائدة وتنتشر مناقب وسيرة هذا القطب الرباني والهيكل الصمداني، لحسن ظنهم واعتقادهم بأنني من أهل هذا الشأن ومن رجال هذا الميدان، لم تسعني مخالفتهم فقمت بإعادة النظر في نسخة الكتاب التي بحوزتي والمطبوعة في سنة 1928م بمطبعة الشيخ صالح الكتبي "الجد" وتعرف بنسخة تونس وبنسخة أمدني بها الأديب و الأستاذ صالح الكتبي "الحفيد" كما أمدني ايضا بغيرها من الإضافات والتصحيحات على مختصر الغزّال والسفينة العيساوية،

وطلب مني مراجعتهما وتصحيحهما، فجزاه الله خيرا، وقد اتخذت هذه النسخة مرجعا، فتبين لي وجود أخطاء إملائية مع عدم وجود شرح لبعض المصطلحات التي يتناولها السادة الصوفية، فلذلك قمت بعمل الآتي :

أولا: تخريج الآيات والأحاديث الموجودة بالكتاب.

ثانيا: شرح بعض المصطلحات التي قد تخفى على القارئ.

ثالثا: ترجمة أسماء العلماء والمشايخ المذكورة في هذا الكتاب ما أمكن.

رابعا: ترجمة أسماء بعض القبائل والبلدان.

خامسا: تنسيق الكتاب في صورة بسيطة يستطيع القارئ بها متابعة الكتاب في سهولة ويسر.

ومع قلة مراجعي لقيامي بهذا العمل لظروف سفري وبعدي عن مكتبتي الخاصة حاولت أن أوجز، وان أضيف وأكمل ما نقص في هذه الطبعة في الطبعات الأخرى انشأ الله، فأرجو من الله التوفيق.

والله أسال أن ينفعنا بصاحب هذه السيرة، وأن يجعل عملنا هذا خالصا لوجهه الكريم وأن يتقبل منا صالح الأعمال وان يحشرنا مع هذا العلم الكبير في زمرة جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومع الأنبياء والمرسلين والشهداء والصالحين وحسن أولائك رفيقا آمين آمين آمين يا ارحم الراحمين، وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفقير إلى عفو ربه الكريم
السيد طارق بن السيد الحاج علي بن سيدي الحاج المبروك السراري
الحسني الإدريسي

إهـــــــــــــداء

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد النبي المكرم الكريم وعلى آله وصحبه وسلم

وبعد:

قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾، وفي الحديث الشريف قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله».

فبعون الله وتوفيقه نهدي ثواب هذا العمل:

لروح سيدنا ومولانا ووسيلتنا لربنا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هدية واصلة زيادة في شرفه وإلى أرواح آل بيته الطيبين الطاهرين.

ثم إلى روح أستاذنا ومولانا الشيخ الكامل الهادي محمد بن عيسى رضي الله عنه والى أرواح مشائخه وذريته و ذرياتهم رضي الله عنهم أجمعين، ثم إلى أرواح رجال الدائرة والى أرواح أقطاب الطرق العلية.

ثم إلى أرواح مشايخ الإسناد من عبده الضعيف حتى الشيخ الكامل سيدي محمد بن عيسى قدس الله سره العزيز ولاسيما روح سيدي ومولاي محمد بن عبدالهادي وتلامذته الأبرار وإلى روح سيدي ومولاي السيد الجد الحاج المبروك السراري الحسني الإدريسي ثم إلى أرواح ذريته وأقربائه وآبائه وأمهاته إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم إلى روح سيدي علي انويجي السراري الحسني الإدريسي والى أرواح أبائه وأمهاته ثم إلى أرواح كل من انتسب لهذه الطريقة العلية من أهل بلدنا وغيرها من البلدان رضوان الله عليهم أجمعين

كما اشكر والديَّ وأخواتي وأبنا عمومتي وأحبابي على صدق محبتهم وإعانتهم لي للقيام بهذا العمل وبغيره من الأعمال للنهوض بواجبات طريقتنا الغراء فلهم مني كل الشكر والعرفان.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفقير إلى عفو ربه الكريم

السيد طارق بن الحاج علي بن سيدي الحاج المبروك السراري الحسني الإدريسي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنار بنور هداه قلوب العارفين، فأشرفوا على منـــاهج التوفيــق بأدلة التحقيق فكانوا بها سالكين، وكشف لهم عن أنوار أسرار أذكـــار الـــذاكرين، فكانوا بلسان تصحيح تصريح التسبيح ناطقين، وأعانهم على إقدام العزم فكانوا هم المقربين، ولم يزالوا بأكمل أفضل الأعمال عاملين، فانتهوا إلى مناصب عجز عن وصفها وصف الواصفين، نحمده حمدا يزيد على حمد الحامدين ونـــشكره شـــكرا يربي على شكر الشاكرين، ونستعين به على الوفاء بعهده، ونسأله الإلهام والتوفيق إلى رشده، ونتضرع إليه في توبة صادقة عاجلة، قبل حلول منية فاجئة قاتلة.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الحق المبين، شهادة نجـــدها عدة ليوم تفر فيه الأمهات من البنين، وتتطاير فيه الصحف فمن آخذ كتابه بـــشماله ومن آخذ باليمين.

ونشهد أن سيدنا ونبينا ومولانا محمدا عبده ورسوله الصادق الأمين، المرســـل إلى الكافة بالدليل وأوضح التبيين، سلك الله بنا طريقه الواضح المبين وأعاننا على التمسك بحبه الأقوى المتين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الخلفاء الراشدين، وعلى جميع الأنصار والمهاجرين، صلاة وسلاما تامين دائمين إلى يوم الدين.

أما بعد:

لما منّ الله الكبير المتعال، على عبده الفقير إلى كرمه المتـــوال، أحمـــد بـــن المهدي الغزّال، مصحوبا بالهمم العوال بمعرفة الرجال الأجواد، وخدمـــة الفقـــراء الأطواد، وبالدخول في الطريقة المثلى، ذات المفاخر التي تتلى، والمـــآثر التـــي لا

تبلى، طريقة الشيخ الإمام الحبر الهمام، طود الإيقان، ومنبع العرفان، ومطلع شموس العيان ومعدن الفضل والإحسان، مصباح الزمان، وفريد العصر والأوان، صدر الصدور، والشهير بالبركة والحكمة والنور، ذي العمل والحال والمقال والطريقة الواضحة التي ليس فيها إشكال، والسيرة السرية المرضية التي هي سيرة أهل الكمال، وفحول الرجال، شيخ الطريقة، وفارس الحقيقة الملاذ الرباني، الشهير ذكره وخبره وصيته عند القاصي والداني، مولانا وسيدنا وسندنا إلى ربنا سيدي محمد بن عيسى الذي قيل فيه: الصالحون كلهم غرفوا من بحر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والشيخ ابن عيسى غرق فيه، قدس الله سره، وجعلنا من المحشورين في زمرته، بعد سَقْيِنَا من مدده، الذي هو من مدد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم آمين، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

وقد كنت دخلت في طريقة هذا الشيخ الأسمى، صاحب الجناب الأحمى، في سنة اثنتين وستين ومائة وألف[1] على يد الشيخ الفقيه النبيه الفاضل الكامل، والإنسان العامل الخير الدين المحب الصدوق سيدي الحاج عبدالسلام بن سيدي أحمد برادة الفاسي[2] كبير المقدمين بمدينة فاس حرسها الله تعالى بالعهد والصحبة وانتفعت به وبالطريقة المذكورة انتفاعا ظاهرا وباطنا، والحمد لله رب العالمين.

ولما كان ذلك كذلك فقد التمس مني بعض الأخوان، ممن لاحت عليهم مواهب الامتنان، أن أضع لهم كتابا مختصرا مفيدا يشتمل على نسب الشيخ والتعريف به، وذكر مولده وصفته وتربيته وذكر مشائخه الذين أخذ عنهم الطريق، وسيرته مع

---

(1) الموافق سنة 1749م.

(2) عبد السلام براده مقدم الطريقة العيساوية بفاس، من أصحاب العلامة سيدي عبدالمجيد المنالي الإدريسي الحسني(المتوفى سنة 1162هـ الموافق 1649م)، وكان سيدي عبدالسلام متجردا، خاليا عن الدنيا، متابعا للسنة، معرضا عن البدعة، توفي سنة 1164هـ . سلوة الأنفاس للكتاني ص199.

أصحابه وتلامذته، وذكر شيء من كراماته الصادرة منه في حال حياته ممـا هـو مزبورا[1] في كتب العلماء الأعلام والمشايخ الكرام، من علو مرتبتـه، وارتفـاع منزلته، وإجابة دعواته، وذكر وفاته، فأجبتهم لذلك طائعا، ولسؤالهم سامعا، وإذ هم من خواص الأحباب المتأدبين بكمال الآداب، لعلمي بقوله صـلى الله عليـه وآلـه وسلم: «الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه»[2].

ونطلب من الله سبحانه وتعالى أن يبلغنا نهاية الأمل، وأن يوفقنا لصالح النيـة في القول والعمل، إنه جواد كريم رحمان رحيم

(1) مزبورا: أي مقيدا و مكتوبا.

(2) حديث صحيح ذكره مسلم في" الذكر - باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن"، ج2، ص345.

فصلٌ في ذكر نسبه الشريف
والتعريف به وبمولده[1] وصفته وتربيته

أقول: أما نسبه فهو:

سيدي محمد[2] بن سيدي عيسى بن سيدي عامر بن سيدي عمر بن سيدي عمرو بن سيدي حريز بن سيدي محروز بن سيدي عبدالمؤمن بن سيدي عيسى المكنى بأبي السباع بن سيدي أبي إبراهيم بن سيدي هلال بن سيدي محمد بن سيدي يوسف بن سيدي أبي زيد بن سيدي عبدالرحمن بن سيدي سلام بن سيدي عبدالعزيز بن سيدي عبدالمؤمن أيضا ابن سيدي زيد بن سيدي رحمون بن سيدي زكرياء بن سيدي محمد بن سيدي عبدالمجيد بن سيدي علي بن سيدي عبدالله بن سيدي عبدالله أيضا بن سيدي أحمد بن مولانا إدريس الأصغر الباني لمدينة فاس المحمية ابن مولانا

---

(1) ولد سنة (872هـ/1467م).

(2) عمود النسب الذي ذكر في الأصل به اضطراب والتالي هو الأصح، وهو:

سيدي محمد بن عيسى بن عمرو(الحاج) بن أعمر بن عامر الهامل الملقب بابي السباع جد الفروع السباعية بن حريز بن محرز بن عبد الله بن إبراهيم بن إدريس بن محمد بن يوسف بن زيد بن عبد النعيم ابن عبدالواسع بن عبدالدائم بن زروق بن عبد الله بن سعيد بن عبدالرحمن بن سالم بن عزوز بن عبد الكريم بن خالد بن سعيد بن عبد الله بن زيد بن رحمون بن زكرياء بن محمد بن عبدالحميد بن علي بن محمد بن عبدالله بن محمد بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم.

مقتطف من مخطوط تحت عنوان: "كتابٌ لمن أراد تعريف نسب المصطفى صلى الله عليه وسلم، وسلالة النبوة" للشيخ الفقيه العلامة أبي العباس أحمد بن الشيخ عبد الله البكري.

وكذلك بحث قدمه الباحث: مولاي إدريس بن البخاري السباعي على الشبكة العنكبوتية بعنوان: (ملاحظات حول نسب الشيخ سيدي محمد بن عيسى السباعي مؤسس الطريقة العيساوية بالمغرب) على العنوان التالي: http://www.essiba-i.com

إدريس الأكبر بن عبدالله الكامل بن مولانا الحسن المثنى بن مولانا الحسن السبط بـــن مولانا وسيدنا علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء إبنة الرسول سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وشرف وكرم ومجد عظم.

اللهم بجاه سيدنا ومولانا محمد عبدك ونبيك ورسولك وبجاه هؤلاء السادات اكفنا هم الدنيا وعذاب الآخرة إنك على كل شيء قدير.

وأما التعريف به رضي الله تعالى عنه فأقول أيضا:

إن الشيخ سيدي محمد بن عيسى أصله من عرب سوس من غير شك في ذلك ولا ريب يعرف هذا جمهور الناس، ولكن اختلفت عبارتهم في ذلك فمنهم من يقول: إنه سملالي قبيلة من جزولة.

ومنهم من يقول: إنه سباعي من أولاد أبي السباع كما ذكر وهو الصحيح.

وقد عرف به الشيخ الإمام العالم الهمام الفقيه النبيـــه ســـيدي محمـــد عـــسكر الشريف[1] القاضي ببلاد الهبط في كتابه الموسوم بـــ"الدوحة" فقال: هـــو الـــشيخ المربي العارف بالله تعالى مورد المريدين، ومفيد المسترشدين، صـــاحب الإفـــادة، والتنويه والإشادة، سيدي محمد بن عيسى المكناسي كان رضي الله عنه من فحول المشائخ الداعين إلى حضرة الحق، قال: وسمعت بالتواتر من أهل مكناسة الزيتون أيام سكناي بها كرامات كثيرة يتحدثون بها عن الشيخ في حياته وبعد مماته.

وعرف به أيضا الشيخ الإمام العلامة الأوحد أبو محمد ســـيدي عبـــدالرحمن الفاسي[2] في كتابه الموسوم بـــ"ابتهاج القلوب" قال: هو الشيخ الجليل السالك المسلك

---

(1) محمد بن علي بن عمر الحسني المعروف بابن عسكر، مؤرخ صوفي، ولد فـــي مـــراكش، من آثاره: "دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القـــرن العاشـــر"، و"ديـــوان الشرفاء". "فهرس الفهارس" ت د/احسان عباس ط2 دارالغرب الإسلامي ج1:ص416.

(2) العلامة أبو زيد عبدالرحمن بن عبدالقادر بن علي الفاسي، المتوفى بفاس سنة 1096هـــ، وله من التآليف: "مفتاح الشفاء"، وكتاب "غاية الوطر في علم السير"، وله "ابتهاج القلـــوب في مناقب جده وشيخه المجذوب". "اليواقيت الثمينة"، الأعلام للزركلي ج4:ص82.

الدّال على الله تعالى أبو عبدالله سيدي محمد بن عيسى رضي الله تعالى عنه السفياني الأصل ثم المختاري ولد ونشأ فيهم، وكانت ولادته رضي الله عنه وأمدنا من فيض مدده في القرن التاسع سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة[1]، وصفته رضي الله تعالى عنه ربعة[2]، أبيض اللون، أعطر الشعر الغالب عليه الحمرة[3]، أزج الحاجبين[4]، قصير السواعد[5]، عريض القدمين، ذو هيبة ووقار، فصيح صاحب نطق، وقد تربى بين أبوين صالحين تربية حسنة كما قيل.

نشأ في ظلال العز وارتضع العلا فجاء تقيًّا يختال في رتب الشيم، ثم إن والده ارتحل به إلى مدينة فاس بنية قراءة القرآن العظيم وطلب العلم، وقد جدّ الشيخ في ذلك إلى أن فتح الله عليه في أقرب زمان، ثم إن والده رجع إلى قبيلة سفيان، وكان من أمره ما كان.

وكان رضي الله عنه منذ خلق متحليا بالجلال والجمال والكمال، ولم تظهر عليه خيانة قط لا في الحال ولا في المقال، وكان رضي الله عنه مهيب النظر كريم النفس، كثير الأدب، جميل المعاشرة، صاحب محبة وحنانة، حلو الكلام، كأن الله عجن طينة جسده من سائر المحاسن رضي الله تعالى عنه.

---

(1) 1467م.
(2) رجل ربعة ومربوع الخلق أي: ليس بطويل ولا قصير.
(3) أي لون شعره أشقر.
(4) أزج الحاجب: دقيقه وطويله.
(5) الساعد: ملتقى الزندين من لدن المرفق إلى الرسغ.

فصلٌ في ذكر مشائخه الذين أخذ عنهم الطريق بالعهد والصحبة

أقول: قال الشيخ العلامة سيدي عبدالرحمن الفاسي في كتابه المذكور[1]:

لما رجع الشيخ ابن عيسى إلى قبيلة سفيان ذهب إلى الشيخ الولي الكبير العارف الشهير سيدي أبي العباس أحمد بن عمر الحارثي المكناسي[2]، وكان هذا الشيخ رحمه الله تعالى من الأكابر الذين لهم التصريف الرباني[3]، صاحب الشيخ الإمام القطب الهمام سيدي محمد بن سليمان الجزولي[4]، وأخذ عنه الطريق بالعهد والصحبة فهدى الله به أمة عظيمة.

وكان مشايخ الصوفية يعظمونه غاية التعظيم ويثنون عليه الثناء الجميل ويحكون عنه عجائب الأسرار، وكان لسانه لا يفتر عن ذكر الله تعالى فلازمه الشيخ ابن عيسى وأخذ عنه الطريق بالعهد والصحبة له، وقرأ عليه كتب القوم، وتربى على يديه بالطريقة الجزولية المحمدية إلى أن فتح الله عليه بالولاية، وكان قد حان قرب أجل الشيخ الحارثي، ولم يكمل له الفتح فقال للشيخ ابن عيسى: يا بني

---

(1) كتاب"ابتهاج القلوب".

(2) ترجم له العلامة محمد بن عسكر الشفشاوني في كتابه: "دوحة الناشر": ترجمة 60، ص70- منشورات مركز التراث- المغرب.

(3) التصريف الرباني هو ما يأتي به الولي أو قطب الزمان وهباً من الله تعالى من قدرة على التصرف في الأعيان، ومن مظاهره طي الأرض أي قطع المسافات الطويلة في أزمنةٍ يسيرةٍ، وقد استعمل هذا المصطلح الصوفية المتأخرون، وتحدث عنه ابن خلدون في "المقدمة" وفي كتاب "شفاء السائل لتهذيب المسائل".

(4) محمد بن سليمان الجزولي الحسني (ت 870 هـ/1465م)محدث فقيه تفقه بفاس حج وقام بسياحة طويلة توفي في آفغال بالمغرب ونقل جثمانه لمراكش بعد77 سنة من وفاته.

قد فتح الله عليك بالولاية، وبقي لك شيء من الفتح، وقد قرب أجلي، فعليك يا بني بالذهاب بعد وفاتي إلى صاحب الوقت بمدينة مراكش حرسها الله تعالى، وخذ عن أخي الشيخ سيدي عبدالعزيز التبّاع فهو صاحب الوقت في هذا الزمان، وخليفة شيخنا القطب الجزولي والوارث لمقامه وهو يكمل لك الفتح إن شاء الله تعالى.

ثم بعد أيام قلائل توفي الشيخ الحارثي رحمه الله تعالى وكانت وفاته في العشرة الأولى من القرن العاشر، ودفن بزاويته خارج مدينة مكناسة الزيتون وقبره هناك مشهور وهو مزارة عظيمة عند أهل مكناسة قريب من زاوية تلميذه الشيخ سيدي محمد بن عيسى نفعنا الله ببركتهما آمين.

ثم إن الشيخ سيدي محمد بن عيسى رضي الله عنه لما توفي شيخه سيدي أحمد الحارثي توجه إلى مدينة مراكش كما أمره شيخه لأجل الأخذ وتكملة الفتح على يد الشيخ التبّاع رضي الله عنه، فلما وصل إلى مدينة مراكش قصد زاوية الشيخ التبّاع فوجده بالزاوية المذكورة وهو جالس مع أصحابه وتلامذته يقرؤهم في المعارف الربانية، فلما فرغ من ذلك قام الشيخ سيدي محمد بن عيسى لأجل السلام على الشيخ التبّاع، فلما رآه قام إليه إجلالا وتعظيما لقدره وعانقه وقال له: أهلا وسهلا بالابن الصالح والخليفة الناصح، وصار ينظر إليه، فأطرق الشيخ ابن عيسى رأسه إلى الأرض حياء منه ثم إن الشيخ التبّاع عطف عليه، وقال له: اسمع مني يا بني إن أخي الشيخ سيدي أحمد الحارثي قد صفى درهمك ولم يطبعه لك[1]، وغير المطبوع في السوق لا يجوز، فها أنا قد طبعته لك بإذن من الله تعالى فحينئذ قد تم الفتح له، وقد امتلأ الشيخ ابن عيسى رضي الله تعالى عنه مددا عظيما ثم جدد الأخذ عن الشيخ التبّاع ودخل في الطريقة المذكورة بالعهد وصاحبه نحو شهر وهو مقيم عنده، والشيخ التبّاع لا يفارقه ليلا ولا نهارا ولقنه الذكر وأعطاه مفاتيح الطريقة من أحزاب وأوراد ووظائف

(1) ويقصد بهذه العبارة والله أعلم أنه ملأك علوما ومعارف ولم يوقفك بمقام الفناء والمشاهدة.

ولقنه أيضا سر العهد وأمره بكتمانه وبالاحتفاظ عليه وقال له: هو عهد الله لا عهدي ولا يعطي إلا من صدر إلى صدر، وأمره أيضا بالتصريف والجلوس لتربية المريـــدين وإرشادهم إلى سبيل الهدى.

ثم إن الشيخ ابن عيسى قد قبل منه ذلك وحمد الله سبحانه وتعالى وأثنى عليه بمـــا هو أهله ثم إنه عطف على الشيخ التبّاع[1]، وقال له:

يا سيدي نريد من فضلكم أن تتم لي الإذن في قراءة كتاب شيخنا القطب سيدي محمد بن سليمان الجزولي المسمى بـــ: "دلائل الخيرات و شوارق الأنـــوار فـــي ذكـــر الصلاة على النبي المختار".

فقال له: نعم، ولكن اسمع مني يا بني إن الإذن فيه مقصور على صاحبه وهو كبير تلامذة شيخنا الجزولي وهو أخي سيدي محمد الصغيّر السهلي، لأن شيخنا رضـــي الله عنه قد خصّه بذلك فاذهب إليه، وخذ عنه الطريق كما أخذت عني والتمس منـــه الإذن في قراءة الكتاب المذكور لك، ولأتباعك وأتباع أتباعك، وهلم جرا إلى ما شـــاء الله تعالى فإن شيخنا القطب الجزولي قد أمره بذلك، وأوصاه على ذلك، كمـــا أمرنـــي أيضا بأن نعلمك أن الخلافة الجزولية تصير إليك من بعدي، وذلك بـــإذن مـــن الله سبحانه وتعالى.

ثم إن الشيخ سيدي عبدالعزيز التبّاع رضي الله تعالى عنه طلب من الشيخ ابن عيسى أن يذهب معه ليلا إلى ضريح الشيخ الجزولي بقصد الزيارة له قال: نعـــم، وذهبا جميعا ودخلا إلى الضريح وجلسا هناك تجاه قبره المبارك نحو ساعة زمانية ورائحة المسك تخرج من قبره من كثرة صلاته على النبي صلى الله عليـــه وآلـــه وسلم وهذا السر محقق، وهو موجود إلى زماننا هذا.

---

(1) التبَّاع: هو الشيخ الكبير أبو فارس عبد العزيز بن عبد الحق الحرار المعروف بالتبَّاع، دفين مراكش، من أصحاب الجزولي، توفي يوم 20 من صفر سنة 914هـ "الاستقصاء" للناصري ج4، ص164.

(قلت): قد وجدت مزبورا بخط الشيخ العالم الولي الصالح سيدي أبي مهـدي الفجيجي[1] وهو تلميذ شيخنا سيدي محمد بن عيسى رضي الله تعالى عنهما أنه ذكر أن شيخنا قدس الله سره قد اجتمع بالشيخ الجزولي اجتماعا روحانيا في عالم الخيـال[2] وأخذ عنه الطريق وأمره بتربية المريدين، وإرشادهم على طريقته، وبشره بكل خير وكان ذلك في مدة إقامته عند شيخه سيدي عبدالعزيز التبّاع بمدينة مراكش.

ثم إن الشيخ سيدي محمد بن عيسى استأذن الشيخ التبّاع على أن يسافر إلـى بلده ومقره مكناسة الزيتون، فأذن له في ذلك وأمره بملاقاة كبير التلامـذة الـشيخ سيدي محمد الصغيّر السهلي، وأكد عليه في الاجتماع به، والأخذ عنه كما ذكر.

وكان هذا الشيخ أبو فارس سيدي عبدالعزيز التبّاع رضي الله تعالى عنه إماما عاملا، وشيخا وأستاذا كاملا، أستاذ الأكابر، وجرثومة المفـاخر، شـيخ المـشايخ وقطب وقته وغوثه النفّاع[3]، وإمام أئمة الطريقة في عصره من غير اخـتلاف ولا

---

(1) سيدي يوسف بن أبي مهدي عيسى الفجيجي، ترجم له تلميذه العلامة محمد بـن عـسكر الشفشاوني صاحب "دوحة الناشر" في صدر هذا الكتاب، وقد أخذ عنه الطريقـة العيـساوية سنة 955هـ.

كان الشيخ الفجيجي كثير الكرامات، وله في علم الأحوال والمعاملات وأسرار الذكر الـشأن الخاص الذي لا يدرك، جاور بالديار المقدسة بعد وفاة شيخه ابن عيسى حاجًا ومعتمراً ست عشرة سنةً، ورجع إلى المغرب ثم عاد للديار المقدسة سنة 957هـ وقد نيَّف على الثمانين سنةً، وكان ذلك آخر العهد به.

(2) عالم الخيال: هو واسطة بين عالم الأجساد وعالم الأرواح، فيكون أقل كثافـة مـن عـالم الأجساد، وأكثر كثافة من عالم الأرواح، ويتمثل فيه النبي أو الولي ليُرَى في الدنيا ناصـحاً أو مرشداً أو غير ذلك كما هو متواتر عن الكثير من الأولياء، فيرى أحدهم النبي صـلى الله عليه وسلم في عالم اليقظة؛ يعني: رؤية مثالية، واحتجوا فيه بقول الله تعالى: "فتمثل لهـا بشراً سويا" الآية.

(3) القطب الغوث:هو رجلٌ واحد هو موضع نظر الله تعالى من العالَم، ويسمى بـالغوث أيـضاً باعتبار التجاء الملهوف إليه، وقيل: إن القطب خُلِقَ على قلب سيدنا محمد صلى الله عليـه وسلم، وقيل: على قلب إسرافيل عليه السلام، ويسمى أيضا: قطب العالَم، وقطب الأقطـاب، والقطب الأكبر، وقطب الإرشاد، وقطب المدار.

المعجم الصوفي- د/ عبد المنعم الحفني- ط دار الرشاد- مصر.

نزاع، تخرج على يده من الأكابر ما لا يكاد يحصيه عدد، وكان يقال: النظرة فيه تغني، ووصفه شيخه القطب الجزولي بالكيمياء[1] رضي الله عنه، ونفعنا به آمين.

وكانت وفاته رحمة الله عليه سنة أربع عشرة وتسعمائة، ودفن بزاويته داخل مدينة مراكش بين الثلاثة فحولّ[2] وقبره هناك مزارة عظيمة.

ولما توجه الشيخ سيدي محمد بن عيسى إلى السفر جاز في طريقه على البلاد التي يسكنها الشيخ السهلي، وهي تعرف بخندق الزيتون قرب واد اللبن من أحواز مدينة فاس، وكان هذا الشيخ سيدي محمد الصغيِّر السهلي رضي الله تعالى عنه، من أكابر الأولياء المحققين والعلماء العاملين وواحد الأفراد من الواصلين وذوي الهمم العلية من المقربين، وهو كبير تلامذة الشيخ القطب الجزولي.

وكان رضي الله عنه عند شيخه يصطاد الرجال بهمته ونظرته، فانتفع به كثيرون وتخرج على يده رجال، وكان مقصدا للزائرين ووجهة للطالبين، فلما قدم الشيخ ابن عيسى عليه فرح به فرحا عظيما وقبله بين عينيه وضمّه إلى صدره ثم أطلقه، وقال: مرحبا بالابن المبارك والخليفة الثاني وجلس معه.

وقال له: أعد علي مقالة أخي الشيخ سيدي عبدالعزيز التبّاع عند ملاقاتك إياه واجتماعك به.

فقال له الشيخ ابن عيسى: نعم، قد قال لي: إن أخي سيدي أحمد بن عمر الحارثي قد صفى درهمك ولم يطبعه لك وغير المطبوع في السوق لا يجوز فها أنا قد طبعته لك.

ثم إن الشيخ السهلي ورد عليه وارد عظيم[3] ودار دورة حالية وقال له: هلا

---

(1) لمفهوم الكيمياء عند الصوفية دلالة تختلف عن المعنى المادي المتداول إنها تلك المعرفة الدقيقة بأسرار الروح وعوالمها، وفي ذلك ألف الغزالي كتابه المشهور "كيمياء السعادة" والكيمياء تعني كذلك عندهم التصرف في المواد والأشياء بالاقتدار الروحي.

(2) الفحول في لهجة المغاربة هي الطُرقات أي عند مفترق الطرقات.

(3) الوارد: هو كل ما يرد على القلب من المعاني الغيبية من غير تعمد من العبد، انظر الجرجاني في "التعريفات"- طبعة مصطفى الحلبي- مصر.

قال لك ها أنت وربك؟ فامتد الشيخ ابن عيسى مدَّةً قوية جدا[1] .

ثم أخذ الطريق عنه كما أمره بذلك شيخه التبّاع، وبعد ذلك طلب منه كتاب: "دلائل الخيرات" والإذن في قراءته له ولأتباعه.

فقال له: نعم، وبهذا أمرت.

ثم أتى له بنسخة من الكتاب المذكور مزبورة بخطه، وعلى ظهر النسخة المذكورة مزبورا بخط الجزولي ما نصه:

كتبت كتابي قبل نطقي بخاطري وقلت لقلبي أنت بالشوق أعلم

فسلم عليهم يا كتابي وقل لهم مقامكم عندي عزيزٌ مكرَّم

وفي آخر النسخة المذكورة بخط الشيخ الجزولي أيضا رحمه الله ورضي عنه ما نصه:

عود لسانك كثرة الصلاة على محمد خير ما به قد اشتغل

فهو المصيد به يا أيها الرجل فاصطد به الخير لا تصطد به الحيل

ودم عليها لكي ما تنجى من وجل في القبر والحشر لا تبغي به بدلا

من في صحيفته من الصلاة على محمد قدر سطر يعدل الجبلا

ثم إن الشيخ السهلي رضي الله عنه لما أعطاه الكتاب المذكور قال: اللهم إني أشهدك وأشهد ملائكتك ورسلك وأنبياءك وأولياءك أني قد بلغت الأمانة لصاحبها.

ثم إن الشيخ ابن عيسى رضي الله عنه قبل الكتاب المذكور أحسن قبول، ثم قبله وشكر الله تعالى وشكر الشيخ السهلي على مروءته وحسم عهده ودعا له بحسن الختام.

وكانت وفاة الشيخ سيدي محمد الصغيِّر السهلي رحمه الله تعالى عن سن عالية

---

(1) كناية عن حصول الإمداد من الشيخ له، والإفاضة بإذن الله تعالى عليه من بركة سلسلة المدد المباركة المتصلة بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

جدا في سنة ثماني عشرة وتسعمائة[1]، وقبره ببلاده مشهور مشهود وقد بنى عليه الشيخ سيدي عبدالله الغزواني روضة حافلة.

وهؤلاء المشايخ الثلاثة الذين أخذ عنهم الشيخ ابن عيسى الطريق وهم:

الشيخ سيدي أحمد بن عمر الحارثي.

والشيخ القطب سيدي عبدالعزيز التبّاع.

والشيخ سيدي محمد الصغيِّر السهلي رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

وثلاثتهم أخذوا عن الشيخ القطب الولي الكامل،الغوث الحافل، الصوفي الباهر، النجم الزاهر، صاحب الإرشادات العلية، والعبارات السنية، والحقائق القدسية، والأنوار المحمدية، والأسرار الربانية، والهمم العرشية، منشئ معالم الطريقة، بعد خفاء آثارها، ومبدئ علوم الحقيقة بعد خبوّ أنوارها قطب السالكين، وحامل لواء العارفين، الشيخ الإمام، القطب الغوث الهمام، أبي عبدالله سيدي محمد بن عبدالرحمن بن أبي بكر بن سليمان بن سعيد بن يعلى بن يخلف بن موسى بن علي بن عيسى بن عبدالله بن جندوب بن عبدالرحمن بن محمد بن أحمد بن حسان بن إسماعيل بن جعفر بن عبدالله[2] بن الحسن بن علي وفاطمة الزهراء ابنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم المعروف بالجزولي، وهو مؤلف كتاب "دلائل الخيرات"، وكفاه هذا التأليف العظيم شهادة على سمو قدره ونمو فخره.

وقد ألف كثير من العلماء كتبا كثيرة في الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولا أقبل الناس إلا على هذا الكتاب المبارك، وقد عم هذا الكتاب جميع الأقطار شرقا وغربا، وذلك من بركته وبركة مؤلفه رضي الله تعالى عنه.

---

(1) 1508م.

(2) يتفق نسابة المغرب العربي على إن الإمام الجزولي شريف حسني لكنَّ البعض يُرجع نسبه إلى السيد عبدالله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط والبعض الأخر يرجعه إلى الحسن المثلث و هو الأصح بحيث يكون عمود النسب هكذا: عبدالله بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن الإمام علي بن أبي طالب وليس كما جاء بأصل الكتاب.

قال: الشيخ الفاضل سيدي عبدالله العياشي رحمه الله تعالى :

عليك بما يحويه هـذا المؤلـف ... ففيه غنى الدارين إن كنـت تعـرف
فلازمـه واستمسك به إن تـكن ... إلـى حـب الـرسول لـديك تشوف
فتى حوى صلوات طيبات كثيرة ... على المصطفى أزهارها منه تقطـف
فمنها الذي قـد أسـندته أئمـة ... وأخرى أتت فيمـا رووه وصـنفوا
دلائـل خيـرات موائـد نعمـة ... شـوارق أنـوار بهـا نتـشرف
بدائع رحمـات مـوارد حكمـة ... حـدائق جنـات مـن الله تزلـف
مؤلفها فـرد الزمـان وغوثـه ... أقر له بالفضل مـن هـو منـصف
له في مقامـات اليقـين تمكـن ... وسر خفي فـي المعـارف يلطـف
جزاه إله العرش عن جمعه الذي ... بـه يترقـى الـسالك المتـصرف
ولا تعدون عينـاك عنـه فإنـه ... كتـاب بـأنواع الفـضائل يعـرف
لقارئه الحـسنى غـدا وزيـادة ... وقرب مكين بالمواهب يوصـف

وقال آخر – رحمه الله:

كتـاب دلائـل الخيـرات ورد ... بعـذب وروده تـشفى الـصدور
وفيه شـوارق الأنـوار تبـدو ... فيعلـو الناسكيـن بهـا سـرور
تفيـد محبـة الهـادي وشـوقا ... يكـون بـه لحـضرته العبـور
تنعم في رياض الحـسن منهـا ... تجنـك مـن معارفهـا قـصور
ويخدمك الوجـود ومـا حـواه ... وتحنو فـي الجنـان عليـك حـور
ألا لا تـعدون عيـنـاك عـنه ... ولازمـه ففيـه هدى ونـور

وقال آخر – رحمه الله-:

كتاب دلائل الخيرات ركـنٌ ... شديدٌ للنجاة من الهـوانِ
فكثِّـر مـن قراءتـه وواظـب ... عليـه واسـتدمه غيـر وانِ
تجـد بركـاته أمامك تجنـي ... قطوفـا مـن مواهبهـا دوران

تنبيهـــــــــــان

(الأول): هو أنني قد وجدت مزبورا في بعض التقاييد مما هو مـــأثور عـــن الشيخ القطب سيدي محمد بن سليمان الجزولي أنه قـــال: قـــراءة كتـــاب "دلائـــل الخيرات" في حق أتباعنا وتلامذتنا أبلغ في الثواب من قراءة غيرهم له.

(قلت:) إن هذا الكتاب المبارك كتاب شيخهم رضي الله تعالى عنه وورد مـــن أورادهم فيكون في حقهم أبلغ.

(الثاني): وقد وجدت أيضا مزبورا بخط الشيخ العلامة سيدي محمد العربـــي ابن الشيخ العلامة الولي الصالح أبي المحاسن سيدي يوسف الفاسي(1) رحمهما الله تعالى على ظهر نسخة من كتاب "دلائل الخيرات" ما نصه:

ذكر لي بعض الفقهاء من الحفاظ أن مما جرب لقضاء الحوائج وتفريج الكرب قراءة كتاب "دلائل الخيرات" أربعين مرة ويجتهد القارئ أن يكمل هذا العـــدد قبـــل تمام الأربعين يوما، فإن الحاجة تقضى كائنة ما كانت ببركة الصلاة علـــى النبـــي صلى الله عليه وآله وسلم.

وقال الشيخ الفاضل العلامة الأوحد سيدي محمد المهدي الفاسي(2) في شـــرحه الموسوم بـــ "مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات":

إن الشيخ القطب سيدي محمد بن سليمان الجزولي قد اشتهر ذكره في الآفـــاق وظهرت له الخوارق العظيمة والكرامات الجسيمة، والمناقب الفخيمة، التي تحـــار

---

(1) فهو العالم الكبير الفقيه الصوفي سيدي يوسف بن محمد الفهري ت(988)هـ، ترجم له في "سلوة الأنفاس"، وترجم له القصري المالكي صاحب كتاب "مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن".

(2) محمد المهدي الفاسي: العلامة المحقق، والصوفي المدقق ذو التآليف المفيدة والبركـــات المتوافرة المزيدة، ولد في 30 من رجب سنة 1033هـ، وتوفي سنة 1109هـــ، لـــه شروح على "دلائل الخيرات"، وتآليف كثيرة، ترجم له في "سلوة الأنفاس" ترجمة رقـــم: 768، ص418.

الأذهان الثاقبة فيها وتعجز العقول الذكية عن تلقيها، وذكر أنه اجتمع من المريدين بين يديه اثنا عشر ألفا وستمائة وخمسة وستون كلهم ممن نال منه خيرا جزيلا على قدر مراتبهم وقربهم منه.

وقال أيضا: واختلف الناس في وفاته، والأصح ما قاله معاصره الشيخ أبو العباس سيدي أحمد زَرُّوق[1] رضي الله عنهما، قال: إن وفاة الشيخ القطب الجزولي كانت في سنة سبعين وثمانمائة، ودفن بعد نقله برياض العروس داخل مدينة مراكش حرسها الله تعالى.

اللهم انفعنا بمحبتهم واحشرنا في زمرتهم، ولا تخالف بنا يا مولانا عن سنتهم ولا عن طريقتهم، آمين.

يا عباد الإله إن عبيدا   لاذ من أجلكم بركن قوي

فاقبلوه بفضلكم وارحموه   واشفعوا فيه للإله العلي

---

(1) سيدي الشيخ أحمد زروق بن احمد بن محمد البرنسي المالكي فقيه محدث صوفي ولد في 848هـ/1442م، تنسب له الطريقة الزروقية الشاذلية، نشأ بمدينة فاس وتعلم بها، ثم سافر ليتلقى العلم عن سائر العلماء مثل: الرصاع والسنوسي صاحب العقيدة والجزولي والثعالبي، وارتحل للمشرق ليؤدي فريضة الحج وليتزود بالعلم، ثم اتصل بعلماء تونس وليبيا ونزل بمصر ردحاً من الزمن، وهناك درس على الحافظ الإمام السخاوي، ثم نزل بمدينة مصراته بليبيا، له كتب كثيرة في آداب وعلوم التصوف من أبرزها "قواعد التصوف" توفي سنة 899هـ/1493م، بمصراتة ومقام على ضريحه رضي الله عنه مسجد جامع ومنارة لتدريس العلوم الشرعية ملحق بها مكتبة نفيسة .

فصــــلٌ في ذكر مناقب سيدي محمد بن عيسى ومآثره وسيرته

اعلموا رحمكم الله أن شيخنا سيدي محمد بن عيسى رضي الله عنه لما شرب من أعذب الموارد وتوجه من عند شيخه الثالث وهو سيدي محمد الصغيِّر السهلي رضي الله تعالى عنه ذهب إلى بلده ومقره مدينة مكناسة الزيتون، وقد جلس لتربية المريدين وإرشادهم إلى سبيل الهدى، والأنوار تخفق على وجهه وعليه مهابة عظيمة فاستنارت به البلاد، وحصل به نفع كثير للعباد، وصار وجهة للطالبين وحجة للمسترشدين، وصار الناس يتزاحمون عليه بقصد التبرك به والأخذ عنه، وقد شاع صيته وذكره، في سائر أقطار المغرب وكثرت أتباعه وانتشرت طريقته وصارت الوفود ترد عليه بالألف والمئين حواضر وبوادي يأخذون الطريق عنه، وقد قال تلميذه الشيخ الفقيه العالم سيدي أبو مهدي فيما وجدته مقيدا بخطه ما نصه: اعلم أن شيخنا سيدي محمد بن عيسى تداركنا الله برضاه هو الإكسير الذي لا نظير له، وكان رضي الله عنه كثير الأتباع فمنهم من سبقت له سابقة عناية، فأدرك بصحبته الولاية، فهم أهل الإرادة والتحكيم، ومنهم من فاز بالخير والنجاح والفلاح وتهيأ إلى الصلاح، ومنهم من حصل لهم التبرك والهداية والتوفيق والرشد والدراية، ومنهم من حصل له الانتساب إلى الجناب والتشبه بذوي الألباب.

وكان رضي الله تعالى عنه يوصي عامة مريديه بالبر والتقوى وبملازمة الصلوات في أوقاتها، وتلاوة القرآن العظيم والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقراءة الأحزاب والأوراد والوظائف[1] والأذكار، ويأمرهم بالأدب والصدق

(1) الوظائف: مفردها وظيفة هي جملة الأدعية والصلوات على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والتسابيح و سور وآيات من القران الكريم تتلى في مجالس الذكر.

والمحبة والسخاء والحنانة والرأفة على الإخوان ولا يبيعون إخوانهم بزلة ويجعلون المسلمين في حلٍّ، ويكفون ألسنتهم عن إذاية المسلمين وكان رضي الله تعالى عنه يتكلم مع خواص أصحابه من مادة عين الرحمة الكبرى[1]، ويبشرهم بفضل الله تعالى دنيا وأخرى يتكلم مع كل واحد منهم على قدر ذوقه، ويصف له من المعارف على وسع طوقه، وكان به التصريف النافذ في القلوب والقوالب، ويمد كلا منهم من مدد الله له، ومدد الله غالب.

ومن خصائصه رضي الله تعالى عنه: أنه يتكلم على اللائق بحال المستمعين، ويعطي كل ذي حق حقه، ويمد كلا منهم تارة بلحظه وتارة بلفظه، ويسمع كلا من الآخذين عنه كلاما يفيده في طريقه ويمده في تحقيقه مما خصه الله به من الإمدادات المحمدية الجزولية، لتحقيق الميراث له بالتبعية وقد أعطاه الله سبحانه وتعالى الترجمة وحسن التعبير مع شرب الأمثال وإفراغ الحقائق في قوالب العبادات والعادات، ويؤيدهما بشواهد الشرع، وقد كسا الله كلامه نورا فكان يتأثر بكلامه الحاضرون وتشرق به بواطنهم، وتنهض بحاله ومقاله هممهم، ويفهمون عنه من معنى ما هم فيه بل كل يرى أن العبارات توجهت إليه فلا تصعب عبارته على المبتدئ، ولا يستوفي إشارته المنتهي، وكانت عنده الكيمياء الجزولية، الخالصة المرضية، التي تقلب الأعيان، وتحيل نحاس النفوس إبريزا في أقرب زمان، فتقلب ظلامها نورا وحزنها سرورا أمدنا الله تعالى من مدده، وسقانا من فيض مورده، آمين.

---

(1) عين الرحمة الكبرى تستعمل بمعنى الروح المحمدي باعتباره جامعاً للكلم ولأسرار حقائق الموجودات صلى الله عليه وآله وسلم، ومصداقا لذلك نجد نص صلاة جوهرة الكمال لدى الطريقة التيجانية نسبة إلى سيدي أحمد التيجاني يبتدأ بـ : "اللهم صل على عين الرحمة الربانية".

لي ســـادة مـــن عزِّهـــم أقدامهـــم فوق الجبـــاه

إن لـــم أكـــن منهـــم فلـــي في حبهم عز وجـــاه

وكان مقامه- رضي الله تعالى عنه- ما حكاه الشيخ العلامة العارف بالله سيدي عبدالرحمن الفاسي في كتاب "**الابتهاج**": أن الشيخ محمد بن عيسى رضي الله تعالى عنه كان مقامه في مشاهدة الواسطة مشهد الروح واقفا في مقام هيبة الجلال مفارقا سره عالم الخلق مستوطناً عالم الأمر تبعا لمشهوده، وهو روحه صلى الله عليه وآله وسلم، فليس له مع غير الله قرار، ولا عما سوى الله أخبار، وله رضي الله تعالى عنه مآثر جمّة- نفعنا الله ببركاته، آمين.

فصلٌ في ذكر بعض شيء من كراماته

الصادرة منه في حياته

أقول: قال الشيخ اليافعي[1] رحمه الله تعالى:

اعلم أن ظهور إثبات كرامات الأولياء جائزة عقلا ونقلا عند أهل السنة من المشايخ العارفين، والفقهاء والمحدثين، رضي الله تعالى عنهم أجمعين، وتصانيفهم ناطقة بذلك شرقا وغربا، عجما وعربا، مما جاء في القرآن العظيم والأخبار والآثار ففي القرآن العظيم ما أخبر الله تعالى به عن مريم بقوله: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ﴾(ال عمران:37) وقولـــه: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾(مريم:25)، وألهم أم موسى عليه السلام في قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾(القصص:7)، وقصة موسى مع الخضر عليهما السلام وقصة أصحاب الكهف وكلام الكلب معهم، وفي الأخبار والأثار حديث الصحيحين عن أصحاب الغار الذين انطبقت عليهم الصخرة وانفجرت.

---

(1) اليافعي: هو عبد الله بن أسعد بن سليمان اليافعي الشافعي، (700هـــ:768هـــ/1301م:1367م)، فقيه أصولي شاعر صوفي، شارك في بعض العلوم لا سيَّما الفرائض واللغة والحساب.
ولد باليمن، ورحل إلى عدن، وجاور بمكة، سلك طريق التصوف على الشيخ علي الطواشي اليمني.
توفي بمكة في 20 جمادى الآخر، ودفن بمقبرة المُعَلَّى بجوار الفضيل بن عياض.
من مصنفاته الكثيرة:
الدر النظيم في فضائل القرآن العظيم.
والدرر في مدح سيد البشر.
"معجم المؤلفين الصوفيين"- د/ محمد أحمد درنيقة، ط المؤسسة الحديثة للكتاب- لبنـــان- الطبعة الأولى، ص229. وترجم له الإمام المناوي في "الكواكب الدرية"، ورضا كحالة فـــي "المعجم" ج6، ص169.

قال بعضهم: وأما إثبات كراماتهم فجائز عقلا ومعلوم نقلا، وممن قال بها إمام المتكلمين أبو بكر بن الطيب[1] رضي الله تعالى عنه قال :"المعجزات تختص بالأنبياء والكرامات تكون للأولياء".

وقال الإمام أبو عبدالله محمد بن عبدالكريم الشهرستاني[2] رضي الله عنه تعالى عنه: "إن كرامات الأولياء جائزة عقلا وواردة سمعا، ومن أعظم كرامات الله تعالى تيسير أسباب الخير وإجرائه على أيديهم، وتعسير أسباب الشر عليهم، وحيثما كان التيسير أكثر كانت الكرامات أوفر، وهذا أمر جائز مستفيض في حق أولياء الله تعالى نفعنا الله ببركاتهم والكرامات كانت تقع في زمن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين".

ولله در القائل:

لا تسترب في كرامات يخص بها ... من اتقى الله في سر وإعلان

وأمر مريم يكفي المستدل به ... في شأن محرابها في آل عمران

تؤتى الفواكه أنواعا منوعة ... بلا محاولة في غير إبَّان

وفتية الكهف في إيقاظهم عجب ... بعد المئين كما تتلى بحسبان

أو عرش بلقيس في إيصاله عِبَرٌ ... ما بين سرعة جني وإنسان

---

(1) هو محمد بن جعفر، أبو بكر(ت403هـ/1013م) : قاضٍ وفقيه ومتكلم انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة، من أشهر كتبه "التمهيد" و"إعجاز القرآن" وله مناظرات كثيرة في مسائل العقيدة والإيمان أجراها في القسطنطينية مع علماء النصرانية.

(2) هو الشهرستاني المتكلم والمؤرخ للأديان والمذاهب والعقائد والفلسفات، ولد ببلدة شهرستان سنة 419هـ/1087م وإليها ينسب، تنقل بين مراكز العلم في فارس وما حولها ، ارتحل إلى بغداد وعمل مدرسا بالمدرسة النظامية ثم عاد إلى خرسان متنقلا بين مدنها إلى أن توفي بمسقط رأسه شهرستان عام 548هـ/1153م، من أشهر مؤلفاته "الملل والنحل" - جزءان، "تهاية الإقدام في علم الكلام"، "مصارعة الفلاسفة"، "مناظرات مع الإسماعيلية".

جاءت به قدرة الـــرحمن فـــي زمـــن حتى استقر بمـــرأى مـــن ســـليمان
علــــم الكتـــــاب وأعمــــال بموجبــــه أعـــاد آصـــف ذا قـــول وإيقـــان
وكـــم دليـــل بـــأقوال الرســـول لنـــا فيها وكـــم حجـــة فيهـــا وبرهـــان
ثـــم الكرامـــة أنـــــواع إذا نظـــرت كالزهر في حسن أنفـــاس وألـــوان

مشيٌ على الماء أو في الجو قد نقـــلا وشـــبع ذي ســـغب أو ري ظمـــآن
وكـــم أجيـــب ولـــيٌّ حـــين دعوتـــه وكـــم أغيـــث ولـــي عنـــد إذعـــان
وفـــيهم مـــن يحيِّيـــه الجمـــاد ومـــن يغيب عـــن درك أســـماع وأجفـــان
ومنهم من يرى المختـــار مـــن ملـــك ومن يجالسهم فـــي حـــال إخـــوان
وكـــم لهـــم مـــن مقامـــات مكرمـــة هـــذا الـــذي قلتـــه منهـــا كعنـــوان
صَفُوا فَصُوفُوا ونالوا ضعف سعيهم في والمرء يكـــسب إحـــسانا بإحـــسان
عيش أرواحهم ماتت نفوســـهم فافعـــل وقـــد تمـــوت نفـــوس دون أبـــدان
كفعلهـــــــم تقـــــــرب كقـــــــربهم والفضل عمم في القاصـــي والـــدان
وإن عجـــزت عن الخـــلق الـــذي لهم فاصمت فليس بعيد القـــوم كالداني

التَّحدُّث بنعم الله تعالى

واعلموا إخواني- رحمكم الله- أن شيخنا سيدي محمد بن عيسى قدس الله سره له كرامات كثيرة لا تحصى، ولا تعد ولا تحد ولا تستقصى، في حياته وبعد مماته، وكذلك أيضا أصحابه من بعده من بركاته رضي الله تعالى عنه، من باب التحدث بالنعم، فإنه قال: نهضت ووصلت وصولا لم يصل إليه أحد قط، وكان يقول لا يكون المُسَلِّك مُسَلِّكا إلا أن تكون قلوب أصحابه كأنها في كفه، وكذلك أحوالهم في جميع تصرفاتهم ويعلم ما يزيد فيها وما ينقص.

وقال رضي الله تعالى عنه: لا يدخل النار من قال: أنا صاحب لابن عيسى، ولو كان مزحا، وقال أيضا: إذا اجتمع سبعة من أصحابي وأتباعي بنية صالحة فأنا أكون ثامنهم فإذا تضرعوا لله سبحانه وتعالى في أمر من الأمور فإن حوائجهم تقضى لا محالة، ولو وقع الفوت فيها فإنها ترجع بإذن الله تعالى.

وقال أيضا: من زارني حيا أو ميتا يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، ويغفر الله له ما تقدم من ذنبه، وإن مات في ذلك اليوم بعد الزيارة مات شهيدا.

وقال أيضا: من سأل أصحابي في شيء فأنا أولى به منهم، وأنا أرعى أصحابي كالرّاعي لغنمه حتى يرفع علم جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنا ومن معي من الأتباع مسرعون عن يمينه إلى الجنة.

وقال أيضا: يدي على أتباعي حيا وميتا كالسماء على الأرض.

وقال أيضا: من جلس معي في دار الدنيا أو نظرني ولو في منامه ضمنت له على الله الجنة.

وقال أيضا: بالله لقد أعطاني ربع الربع من الدنيا من إنسها وجنها وبرها وبحرها وأشجارها وثمارها ومن جميع حيواناتها وأعطاني أيضا خاتما نختم به كل قطب وولي وعالم، وكل ذلك من فضل ربي سبحانه وتعالى.

وقال أيضا: إن لكل ولي وارثا إلا أنا وأهل الإحاطة، فميراثي أتباعي وأتباعهم وأتباع أتباعهم، وهلم جرّا إلى يوم القيامة، وإن الممد لهم من بعدي بالتصاريف الإلهية، والأسرار الربانية، حبيبي وقرة عيني سيدي أبو العباس أحمد

الخضر سلام الله تعالى عليه، فيا معشر المريدين عليكم بذكر الله العظيم وبالصلاة على النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وبملازمة الأحزاب خصوصا الحـــزب الموسوم بـــ "سبحان الدائم" لا يزال مقرونا بحزب الفلاح، فإن فيه اسم الله تعـــالى العظيم الأعظم، فان لازمتموه فإنكم تفلحون وتنجحون وتعمر سوقكم وتصلوا إلـــى مقامات الرجال.

تنبيـــــــه:

قال الشيخ الإمام العلامة الأوحد سيدي محمد المهدي الفاسي في كتاب "**ممتـــع الأسماع، بمناقب الشيخ الجزولي ومن له من الأتباع**" : "إن هذا الحزب المبارك له صولة ظاهرة، وقوة باهرة، وبركة واضحة، وتحصين عظيم من الآفات العارضة"، واعلم أن القاري لهذا الحزب العظيم لا يقربه الجن فمن قربه منه حرق، هـــذا إذا كان الجن كافرا وإما إذا كان مسلما فيأتيه أولا ويقرب منه ثم لا يطيق فيتباعد عنه، وقد قال ذلك سيدي أبو مهدي الفجيجي، وقد قـــال الـــشيخ الكبيـــر ســـيدي ســـعيد المشنزائي أحد الأوتاد الأربعة: إن الشيخ سيدي محمد بن عيسى الشريف رضـــي الله تعالى عنه من تمسك بأذياله نجا وقد شهد له بالقطبانية. اهـــ.

(ومن كراماته) الشائعة المتواترة رضي الله تعالى عنه وأرضاه:

ما وقع له مع تلميذه سيدي الشيخ أبي الرواين[1] المحجوب رضي الله تعالى عنه.

إعلم أن هذا الشيخ صحب من الأولياء الصلحاء جمعا غفيرا بقـــصد التربيـــة والتهذيب ورجاء أن يفتح الله عليه بالولاية وينجيه من أهوال يوم القيامة، وقد كان له فأس صغير مصاحب له يمتحن به الشيوخ الذين أراد صحبتهم فيقصد شيخا منهم فيقول له: يا سيدي أنا عبد حقير مذنب، وقد أردت خدمتك والسلوك علـــى يـــديك

---

(1) الشيخ الولي أبو عبد الله محمد المعروف بأبي الرَّواين، أحد رجال التـــصريف كـــان مـــن عجائب الدهر، توفي آخر العشرة السادسة من القرن العاشر، ودفن بباب الفتوح في روضة شيخه ابن عيسى- رضي الله عنهم. "دوحة الناشـــر" ترجمـــة 65، ص74- ط منـــشورات التراث الثقافي المغربي.

ونكون من جملة أتباعك ومريديك فهل لك أن تقبلني مريدا في الله؟ فيقول له ذلك الشيخ: قد قبلتك مريدا وولدا في الله، فيقول له سيدي أبو الراوين: اقبلني أنا وفأسي هذا، فيقول له ذلك الشيخ: قد قبلتك أنت والفأس معك فيفرح بذلك فرحا عظيما، ويلازم ذلك الشيخ ثلاثة أيام ثم يذهب والفأس معه، فيأتي إلى حداد من الحدادين ثم يقول له: يا أخي أدخل هذا الفأس إلى الفرن وارقد عليه النار وأنا أنظر إليك، فيأخذ الحداد الفأس من يده ويدخله الفرن ويوقد عليه النار، فيصير الفأس أحمر في أقرب مدة كأنه قطعة نار، والشيخ أبو الرواين ينظر إليه، فإذا رآه قد احمر وصار كالنار فيقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم قد انقطع الرجاء من الشيخ، ثم يعطي للحداد أجرته، ثم يذهب في حال سبيله وهو متحير كئيب، ولا يرجع إلى ذلك الشيخ المسلك أبدا وهذا دَيْدَنُه مع كل شيخ من شيوخ الوقت المتصدرين للمشيخة وتربية المريدين حتى ساقته المقادير إلى الشيخ الكامل، فحل الرجال سيدي محمد بن عيسى رضي الله عنه فأتاه وخاطبه بما كان يخاطب به الشيوخ المذكورين، وأخرج له الفأس وقال له: يا سيدي اقبلني أنا وهذا الفأس، فقال له الشيخ رضي الله عنه: ناولني هذا الفأس فناوله له وأخذه الشيخ منه ولمسه بيده المباركة ثم رده إليه، وقال له: قبلتكما جميعا، وقد لازم الشيخ أبو الرواين الشيخ ابن عيسى الثلاثة أيام على عادته في ذلك ثم خرج والفأس معه وذهب إلى حدادّ آخر، وأمره أن يفعل بالفأس ما ذكر، وصار الحداد يوقد عليه النار وهو بارد حتى فرغ جميع ما عنده من الفحم الذي بدكانه والفأس باقٍ على حاله لم تؤثر فيه النار بشيء، والشيخ أبو الرواين ينظر إليه، وقد طار عقله من شدة الفرح والسرور وقال للحداد: أخرجه يا سيدي بارك الله فيك، فأخرجه له وناوله إياه، ثم إن أبا الرواين دفع للحداد أجرته ودفع له أيضا ثمن الفحم ودفع له أيضا شيئا كثيرا من الدراهم وقال له: هذه بشارتك على الفأس وأنا أبشرك بدخول الجنة إن شاء الله تعالى، ثم خرج أبو الرواين وهو في غاية السرور ويصيح بأعلى صوته وهو يقول: إن شيخي وأستاذي سيدي محمد بن عيسى رضي الله تعالى عنه هو سلطان الأولياء في هذا الزمان وصار متماديا على

ذلك إلى أن وصل إليه فقبل أقدامه وهو جالس مع أصحابه يعظهم فلما فرغ الشيخ من ذلك قام أبو الرواين، وجلس أمام الشيخ فحمد الله تعالى، وأثنى عليه بما هو أهل له ثم سجد شكرا لله تعالى فقال له الشيخ: يا أبا الرواين- وهو متبسم- ما السبب في سجودك هذا؟ فقال له: شكرا لله رب العالمين لصحبتك حيث من الله علي بها حتى أدخلتني حصن الأمان، ثم التفت أبوالرواين إلى إخوانه من أصحاب الشيخ وحدثهم بما وقع عليه من الشيوخ والحدادين وقال لهم إن الشيخ الذي ليس له قدرة على النار بأن لا تصيب الفأس فليس له قدرة على صاحبه بأن لا تمسه النار يوم القيامة، فقال له الشيخ: اعلم يا بني أن الله قد أعطاني أن لا يحترق بالنار ما مسته يدي بمحض فضل منه سبحانه وتعالى ومن فضل جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم إن الشيخ سيدي أبا الرواين قد لازم خدمة الشيخ سيدي محمد بن عيسى وفتح الله عليه بالولاية الكبرى على يديه وصار له التصريف النافذ من الكرامات الخارقة للعادة، وكان يسمى أعجوبة الدهر وله مناقب كثيرة، وهو باقٍ في خدمة شيخه لا يفارقه ليلا ولا نهارا، إلى أن توفي الشيخ ابن عيسى رحمة الله عليه ورضوانه.

(ومن كراماته) رضي الله تعالى عنه: ما حكاه الشيخ الفقيه القاضي سيدي محمد بن عسكر الشريف في كتابه الموسوم بدوحة الناشر، لمحاسن من مات بالمغرب في القرن العاشر"، قال شيخنا أبو الحجاج سيدي يوسف بن مهدي الفجيجي: إن شيخنا سيدي محمد بن عيسى هو الإكسير الذي لا نظير له، وقد حضرت عنده يوما وقد جاءه تلميذه الشيخ سيدي أبو الرواين، وقال له: يا سيدي إني جعلت زمام نفسي بيدك وقد شغفت بحب النساء ومقصوده بذلك الامتحان فإن لم تكن لك عناية ربانية فصاحبك يعصي الله تعالى الليلة- يعني نفسه- فقال: لا والله حتى أفعل، فقال له الشيخ: اذهب وافعل ما شئت، فإن الله قادر على أن لا تفعل، ولن تستطيع، ولو أردت بعناية الله سبحانه وتعالى، قال: فلما كان من الغد جاء الشيخ أبو الرواين وهو في غاية الضعف ووجهه مصفر، فقلنا له: ما لك هكذا؟

فقال: شاهدت العجب البارحة، فقلنا له: وما ذلك؟ قال: ذهبت إلى امــرأة عربيــة وتكلمت معها أن تبيت عندي لأبَرَّ يميني بالأمس فأتت فما كان إلا أن وصلت إلــى وهممت بها فإذا أنا كالمفلوج[1] لا أستطيع تحريك عضو من أعضائي فبقيت مستلقيا على ظهري كالميت لا أقدر على نطق ولا على حركة، حتى إذا طلع الفجر سمعت صوت الشيخ، وهو يقول: أتتوب إلى الله يا أبا الرواين؟ فقلت- بصوت خفي-: أنا تائب إلى الله عز وجل، فقال: قم وتوضأ لصلاة الصبح فنهضت، فإذا أنا قائم كأنما نشطت من عقال، فلما دخلت على الشيخ قال: يا أبا الرواين، ما فعلت؟ فقلت: يــا سيدي من يكون في رعاية مثلك لا يخشى على نفسه غواية، فقال الشيخ: الحمد لله على تأييده ورحمته ثم التفت لنا أبو الرواين، وقال: من لم يوكل على نفسه مثل هذا الشيخ فهو في غرور، فقضينا من أمره العجب.

وقد قال الشيخ سيدي عبدالرحمن الفاسي في كتاب "**الابتهاج**": إن الشيخ سيدي أبا الرواين لم يتزوج قط ويتضح سرّ ذلك لما تقدم له مع شيخه سيدي محمد ابــن عيسى من بقية تسلط همة شيخه في دفع النساء عنه حيا وميتا، وإن النساء لا يدخلن زاويته ولا يقفن على قبره ومن قربت من ضريحه تزحف أو تعمى- والعياذ بالله. (قلت): وهذا أمر مشهور ومشهود إلى زماننا هذا.

وقال أيضا سيدي عبدالرحمن المذكور: حدثني الشيخ الوالد[2] رضي الله تعالى عنه أن الشيخ سيدي أبا الرواين كان متمكنا في مقام الخوف، وكان يأتي فراشه من الليل، ثم يقوم ويقرع باب دار شيخه سيدي محمد بن عيسى حتى يكلمه، فيقول له: يا سيدي نحن كما كنا أو مازلنا أين كنا؟ فيقول له الشيخ رضي الله عنه: نعــم إن

---

(1) يقصد به والده سيدي عبدالقادر الفاسي الفهري ت(1091 هـ) الذي ترجم له الكتاني في السلوة بقوله:الشيخ الإمام،قدوة الأنام، إمام الأئمة، وشمس الأمة. الخ "سلوة الأنفاس" الكتاني ترجمه"318" ص347.

(2) المفلوج: اليابس الشق، ويراد باليبس بطلان حسه، وذهاب حركته لا أنه ميت حقيقةً. "المغرب في ترتيب المعرب" لأبي الفتح ناصر الدين بن عبد السيد المطرزي. مكتبة أسامــة ابن زيد- حلب، الطبعة الأولى،1979م، ج2، ص394.

شاء الله تعالى. وذلك خوفا من أن يكون وقع له سلب، ثم قال الشيخ الوالد رضي الله عنه: وهذا نحو ما ورد عن سيدنا عمر[1] رضي الله عنه أنه كان يأتي الفراش، ثم لا يضع جنبه فيأتي حذيفة بن اليمان[2] فيناشده الله هل يعلم فيه نفاقا؟ فيقول: لا ولكن لا أقول هذا لغيرك، وهذه حالة متمكنة، وحالة سيدي أبى الروين شبيهة بها نفعنا الله به آمين.

(ومن كراماته) رضي الله تعالى عنه: أنه أتاه رجل من أتباعه من أهل مكناسة فقال له: يا سيدي عندي زوج من الثيران بقصد الحراثة يحرث عليهما أجير، وقد أصبح أحدهما ميتا، وقد بقي له من الزرع قدر النصف بدون بذر، وليس الآن في قدرتي ما اشتري به ثورا آخر نتمم عليه ما بقي من الزرع، فقال له الشيخ: اذهب إلى راعي بقرنا وخذ منه ثورا يرضيك، واربطه مع الثور الآخر وتمم البذر الذي أردته، فأبقه عندك عوضا عن الثور الذي مات، فأقسم الرجل بالله تعالى، وقال: لا أفعل ذلك، وإنما قصدت بذلك إخبارك فقال الشيخ: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وسكت ثم قال له: إذا كان ولابد أُأْمُرْ أجيرك يذهب غدا إلى الأرض التي يريد بذرها، ويرفع معه الثور المنفرد، ويحمل آلة الحراثة؛ فإنه يجد هناك ثورا من أحسن الثيران فيربطه مع الثور المنفرد، ويتوكل على الله في البذر، فإذا جاء المساء وأراد الرواح يخلّه ويتركه هناك ويذهب بالثور المنفرد إلى مربطه يفعل هكذا كل يوم إلى أن يتم الزرع، ثم إن ذلك الرجل ذهب إلى أجيره وأعلمه بمقالة الشيخ، فذهب الأجير من الغد إلى الأرض التي أراد البذر فيها ومعه الثور المنفرد وآلة الحراثة، فلما وصل وجد هناك ثورا عظيما، فربطه بإزاء الثور المنفرد،

---

(1) سيدنا عمر بن الخطاب: يعرف بالفاروق لفرقه بين الحق والباطل في كل شيء، قتله أبو لؤلؤة المجوسي سنة 23هـ، ودفن مع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(2) سيدنا حذيفة بن اليمان: العبسي، من كبار الصحابة، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم الكثير من الأحاديث، استعمله سيدنا عمر على المدائن فلم يزل بها حتى مات سنة 36هـ. "الإصابة في تمييز الصحابة" لابن حجر العسقلاني. ط دار الجيل ببيروت- سنة 1412هـ، ت: علي محمد البجاوي، ج2، ص44.

واشتغل في الحرث، فلما قدم المساء حله من الرباط، وتركه هناك وذهب بالثور الآخر المنفرد إلى محله، وصار يفعل هكذا في كل يوم إلى أن نفذ الزرع وأتم الحرث فخلى الثور المذكور على عادته وأراد الانصراف بالآخر، ثم نظر إلى ذلك الثور فإذا هو أسد عظيم، فحصل له منه رعب شديد وصار يرتعد من شدة الخوف، ثم إن الأسد ذهب عنه من حينه وله زئير وزفير، ثم إن الأجير ذهب مسرعا إلى محله، وأعلم بذلك صاحبه، فتعجب من ذلك غاية العجب، وذهب إلى الشيخ وأخبره بما سمعه من الأجير، فتبسم رضي الله تعالى عنه، وقال: الحمد لله على بره وإكرامه وأمر الرجل بالاكتتام.

(ومن كراماته) رضي الله تعالى عنه مما حكاه تلميذه الشيخ الفقيه الولي الصالح سيدي أبو مهدي الفجيجي الشريف أنه قال: بينما نحن جلوس مع شيخنا رضي الله عنه بعد صلاة الصبح قد جاءه رجل من إخوان مكناسة، وقال له: يا سيدي أنا رجل فقير ذو عيال قاطن بجواركم بمقربة من المدينة، ولي بقرة واحدة رغوث لا أملك غيرها يتأدم بلبنها العيال، فجاء إليها البارحة أسد وافترسها بالوادي الذي بإزائنا، فلما سمع الشيخ منه هذا الكلام احمر وجهه، وقال: إن الله سبحانه وتعالى لا يسلط الأسد على من هو بجوارنا، فاذهب إلى الوادي فإنك تجد بقرتك هناك- إن شاء الله تعالى- والأسد يرعاها لك، فذهب الرجل مسرعا من حينه، ثم رجع بعد صلاة العصر، ودخل على الشيخ ونحن جلوس بين يديه، وقد أخبر أنه لما ذهب إلى الوادي وجد بقرته ترعى هناك والأسد واقفا بإزائها، فلما رآني الأسد ذهب عنها، فتعجبنا من قدرة الله تعالى ومن بركته.

(ومن كراماته) رضي الله تعالى عنه ما حكاه تلميذه سيدي محمد بن عمر بن داود المختاري[1] رضي الله تعالى عنه قال: كنت جالسا بين يدي شيخنا وقد جاءه شاب فقيه من أهل مكناسة ومن أعيانها، وعليه أثر الغبار، فجلس أمام الشيخ وصار

(1) من أخوال الشيخ الكامل، وكان من خواص الإخوان، جمعه الشيخ بسيدنا الخضر عليه السلام، وكان الشيخ لا يرد له شفاعة. توفي سنة 975هـ.

يبكي بكاء شديدا، فقال له الشيخ: ما يبكيك يا فقيه فأخبره أن والده صار إلى رحمة الله سبحانه وتعالى وله مدة يسيرة، وقد رأيته البارحة في النوم، وذكر لي أنه يعذب في قبره وقد أمرني بالتوجه إليك لعلك أن تدعو الله له أن يخفف عنه العذاب، فقال له الشيخ: نعم وبسط كفيه وقال: اللهم بجاه سيدنا ومولانا محمد صاحب الجاه العظيم عندك أن تحفف عن والده العذاب وأمنا نحن على دعائه، ثم إن الشاب قبل يد الشيخ وقام وهو مسرور وأيقن بالفرج لما يتحقق من إجابة دعائه رضي الله تعالى عنه، ثم بعد ثلاثة أيام أقبل الشاب الفقيه المذكور إلى الشيخ عند صلاة الصبح وصلى معنا خلف الشيخ وعليه آثار الفرح والسرور، فلما انقضت الصلاة قام الشاب وجلس أمام الشيخ وقبل يده المباركة، وقال له: يا سيدي البارحة أيضا رأيت الوالد وهو في غاية السرور وعليه عباءة خضراء وقال لي: يا ولدي قد رفع عني العذاب والحمد لله، وذلك من بركة دعاء الشيخ رضي الله عنه فعليك يا بني بإتباعه وصحبته وبالدخول في طريقته ثم إن الشاب المذكور دخل في طريقة الشيخ بالعهد والصحبة وصار من المفتوحين عليهم بالولاية، وهذا الشاب الفقيه هو الشيخ سيدي أحمد بن عمر بن المبارك الحصيني رضي الله تعالى عنهما.

(ومن كراماته) الشائعة رضي الله تعالى عنه ما حكاه تلميذه الشيخ الولي الصالح سيدي موسى بن عمران المختاري[1] قال: ولقد حضرت يوما عند شيخنا سيدي محمد بن عيسى وقد جاءته امرأة وكانت من معارفنا، وطلبت الإذن في الدخول إليه، فأذن لها فدخلت وسلمت، ثم تأخرت وكانت هذه المرأة من الصالحات، فقالت له: يا سيدي أنا امرأة غريبة من مدينة طنجة ولي ولد واحد ليس لي غيره، وقد أسره الإفرنج وصارت تبكي بكاء ما عليه من مزيد شوقا لولدها، فصبرناها فلم تصبر، فرق لها خاطر الشيخ من الرأفة والحنانة التي أودعهما الله في قلبه، فبسط

(1) كان من خواص الإخوان، صاحب اجتهاد، له كرامات عديدة، ومن مشايخ التربية- رضي الله عنه.

يديه إلى ربه، وقال: اللهم بجاه سيدنا ومولانا محمد عبدك ورسولك أن تخلص ابن هَاتِهِ المرأة من الأسر بفضلك وإحسانك، ثم قال لها: يا أمة الله اعلمي أن الله قادر على خلاص ابنك، فارجعي إلى بلادك وادخلي دارك فتجديه هناك إن شاء الله تعالى، فخرجت المرأة المذكورة وذهبت إلى دارنا وباتت عندنا تلك الليلة، ومن الغد ركبت دابتها، وسارت إلى بلدها فلما وصلت، ودخلت الدار ووجدت ابنها هناك كما قال الشيخ رضي الله تعالى عنه، وقد حصل لها من الفرح والسرور شيء كثير، وقد سألت ابنها عن سبب خلاصه من أسر الإفرنج، ومن أتى به الدار فقال لها: إعلمي يا أماه أنه ليس عندي من العلم شيء غير أني كنت مقطنا بقطينة ومقيدا بالقيود ومعي حارسان يحرساني، وقد كنت نائما فاستيقظت من نومي ونظرت إلى الحارسين فوجدتهما نائمين، وإذا برجل قد دخل علي ومعه عبد أسود، وقال لي: لا بأس عليك ودنا مني وفك القطينة من عنقي وأزال القيود عني، ثم التفت إلى ذلك الرجل الأسود وقال له: يا عبدالله احمل هذا الشاب إلى دارهم بطنجة، فقال له: نعم يا سيدي فحملني ذلك الرجل وأنا لم أشعر بشيء إلى أن وضعني في الدار هنا، وهذا آخر خبري، وهذان الرجلان ما كنت أعرفهما ولا رأيتهما سابقا منذ عقلت فقالت له أمه: صف لي صفة هذا الرجل الذي حل قيودك، فوصفه لها، فكان الوصف الذي وصفه هذا الشاب لأمه منطبقا على الشيخ ابن عيسى رضي الله تعالى عنه، ثم إن المرأة المذكورة بعد أيام قلائل جاءت إلى ديارنا وجاء ولدها معها بقصد شكر الشيخ، فباتت عندنا تلك الليلة، وقد طلبت مني أن أستأذن لها الشيخ في الدخول هي وولدها، فذهبنا جميعا إلى الشيخ واستأذنته، فأذن لهما ودخلا وسلما، فنظر الولد إلى الشيخ وصاح برفيع صوته قائلا: يا أماه هذا السيد هو الذي فك عني القيود حين كنت في بلاد الإفرنج، فنهره الشيخ وقال له: اسكت فإن الذي خلصك هي قدرة الله سبحانه وتعالى، فتعجب الحاضرون من ذلك غاية العجب، ثم إن الشيخ التفت إلينا ونحن متعجبون فقال لنا: أتعجبون من قدرة الله سبحانه

وتعالى، ثم إن ذلك الغلام تاب على يد الشيخ توبة نصوحا، وصار من أتباعه ثـم سافر مع أمه إلى بلده، وكان كثير الزيارة إلى الشيخ، وهو على أحسن حال، وخيره في ازدياد.

(ومن كراماته) المتواترة عن أهل مكناسة الزيتون: أن قافلة أتت مـن مدينـة فاس ببضائع يتجرون فيها، فنزل أهلها هناك بمدينة مكناسة واستراحوا بها ثم ذهبوا قاصدين زيارة الشيخ، والتماس البركة منه رضي الله عنه، وكان قد أتى مع أهـل القافلة ذمي يهودي خلفوه يحرس البضاعة لهم وتوجهوا نحو الشيخ، فلما وصـلوا إليه استأذنوه في الدخول، فأذن لهم، فدخلوا وسلموا عليه وطلبوا منه الدعاء، فـدعا لهم بالخير والبركة، ثم قال لهم: أين الرجل الذي أتى معكم، فقالوا له: يا سيدي ليس معنا أحد سوى ذمي يهودي تركناه عند رحالنا فقال: ائتوني به الساعة، فقام واحـد من الجماعة وأتى بالذمي وخلفه خارج الزاوية فدخل وأخبره، فأمر بإدخاله، فلمـا نظر له الشيخ ونظر هو للشيخ سقط مغشيا عليه طريحاً بين يديه، فوضـع الـشيخ رضي الله عنه يده على صدر الذمي ففاق من غشيته ونطق بكلمتي الشهادة فأسـلم وحسن إسلامه، وما قام من بين يديه إلا وهو ملحوظ، وقلبه مـن مـوارد الـشك محفوظ، وقد صار من عباد الله الصالحين المقربين.

(ومن كراماتـه) رضي الله تعالى عنه أنه إذا وضع راحته على ذي مرض أو عاهة يجد الفرج من ساعته ويبرأ من علته بفضل الله سبحانه وتعالى، منهـا مـا أخبرني به شيخي سيدي الحاج عبدالسلام برادة رضي الله عنه: أن الشيخ رضـي الله عنه قد أوتي برجل به فتق عظيم، تنزل أمعاؤه في مذاكيره وترجع تارة بتـارة وهو مستمر على هذا الحال، إلى أن نزلت له نزولا عظيما ولم ترجع، وطال أمره واشتد كربه، وبقي ملقىً على فراشه وليس له حركة ولا تنفس كالميت وإن الموت أقرب إليه من الحياة، ثم إن أقاربه أتوا به محمولا ووضعوه أمام الشيخ وأعلمـوه بحاله فرق له ووضع يده المباركة على بطنه، ودعا له بالشفاء، وصار ينظر إليـه نظرا قويا، ثم أدخل يده تحت رأسه وقال له: قم بحول الله وقوته فإذا الرجـل قـد

استوى جالسا وكأنه لم يكن به شيء البتة وبرئ من علته برءا تاما ولم يعد إليه ذلك أبدا إلى أن توفي، وذلك من بركة الشيخ رضي الله تعالى عنه.

قال[1]: وهذه الكرامة شبيهة بالكرامة التي حكاها شيخ الطريقة بالقطر الإفريقي سيدي علي الشريف[2] رحمه الله، قال وحدثني من أثق به وهو أبوعبدالله محمد قاره برني الحنفي ترجمان الديوان بتونس قال: إني أخذت الطريقة العيساوية عن السيد الشريف أبي العباس أحمد بزاوية الشيخ البركة سيدي علي دبوز الكائنة بدرب العسال من ربض باب السويقة، وكنت مولعا بقراءة قصيدة البردة بالميعاد في الزاوية هناك، فذهبت إلى الزاوية يوم الجمعة على عادتي لأجل الميعاد، ولم أعلم ما جني لي من الغيب، وكان بي مرض الفتق منذ حالة الصغر مدة تزيد على تسع وعشرين سنة، وكنت أشد عليه بالحزام الحديد لعظمه وكثرة ألمه، قال: فدخلت الزاوية المذكورة، وجلست في موضعي الذي عادتي أجلس فيه، واستفتحنا قراءة القصيدة المذكورة ومددت بها صوتي، فخرج علي الفتاق من تحت الحزام خروجا لم أعهده سابقا وانجرّ إلى الكيس فلمسته فإذا هو أصلب من الرصاص، فأردت أن أرجعه فلم يرجع، وعظم بي الحال إلى أن أشرفت على الهلاك، فأسندت ظهري إلى الحائط وأنا أعالج سكرات الموت حتى انقضى الميعاد وانفصل، ولم يعلم أحد

---

(1) ما بعد "قال" من هامش النسخة المطبوعة بتونس حيث إنها ليست من أصل مختصر الغزال.

(2) شيخ مشايخ الطريقة العيساوية بتونس، أخذ عن والده السيد قاسم وعمه سيدي أبي بكر الشريف، اخذ عنه الشيخ محمد التواني المسعودي الطرابلسي وقد أجازه إجازة عامة، له عدة قصائد في الوعظ ومحبة آل البيت والصالحين، توفي- رحمه الله تعالى- في رجب سنة 1265هـ، دفن بزاوية سيدي الحاري العيساوية بالقلالين بتونس العاصمة وقد زرتها مرات عدة وبها مقامات اخرى مثل مقام سيدي الحاري وهو احمد الحارثي بن محمد القزولي بن عيسى المهدي بن الشيخ الكامل سيدي محمد بن عيسى وكذلك مقام سيدي بكار الشريف وسيدي الاسفي تلميذ الحاري الذي ادخل الطريقة العيساوية هو وشيخه الحاري للقطر التونسي وعنهم اخذ آل الشريف ومتولي مشيخة الزاوية وعموم الطريقة بتونس الان الشيخ الطاهر الشريف وقد اجتمعت به بالزاوية المذكورة متعه الله بالصحة والعافية.

من الفقراء ما حل بي، وخرج الإخوان كلهم من الزاوية، ولم يبق بها إلا نفرٌ قليلٌ والشيخ باقٍ في مكانه جالسا فالتفت إلي وقال لي: يا أبا عبدالله قد أعجبك الجلوس هنا، فقلت له: يا سيدي إنني في كرب عظيم مما أصابني من هذا الداء العضال، ولا يمكنني الذهاب إلى منزلي، فنادى بأعلى صوته على بقية الفقراء الخارجين من الزاوية وقال لهم: احملوا أخاكم إلى منزله فأتوا وحملوني بين أيديهم حتى وصلنا إلى منزلي وكان بقرب الزاوية فقرعوا الباب فخرج صهري للفقراء أبو عبدالله محمد عيواز الحنفي فقال لهم: ما تريدون يا أسيادي؟ فقالوا له: قد أتينا بصهرك سيدي محمد وإنه مريض، ففزع من ذلك فزعا عظيما وأدخلوني الدار وقالوا لي: ربنا يخفف ما نزل بك بحرمة شيخنا سيدي محمد بن عيسى، وقرءوا لي فاتحة الكتاب وذهبوا إلى منازلهم، فلما ذهبوا دخل علي أهل الدار من النسوة، فلما نظرن حالي أشفقن علي وصار جميع من في الدار يبكي، ويقول: هذا الرجل لا يصبح عليه الصباح، ثم إني ناديت على صهري محمد المذكور وقلت له: أخرج عني الناس من البيت فقد شوشوني، وأنا مشتغل بنفسي، فخرج جميع من في البيت، ولم يبق فيه أحد سوى صهري المذكور فنظرت له وقلت له: أوصيك بأولادي خيراً لأنك جدهم ولا لهم أحد غيرك فبكى بكاء شديدا، وقال لي: الله تعالى لا يعدمنا فيك وخرج من البيت يبكي، ثم إنه أخذتني سنة من النوم ونمت، فرأيت كأنني خارج من داري ذاهبا إلى السوق، فمررت بزاويتنا فرأيت الباب مفتوحا ورجلا واقفا عند الباب عليه جبة صوف بيضاء وعلى رأسه عمامة خضراء، فلما رأيته سالت عنه وقلت: من هذا الرجل الواقف عند باب الزاوية؟ فأخبرت أنه الشيخ سيدي محمد بن عيسى نفعنا الله به آمين، فلما وقع بصره علي قال لي: يا محمد، ادخل إلى الزاوية واجتمع مع إخوانك، فقلت له: لا عدت أدخلها ما دمت حيًّا، فقال لي: لماذا؟ قلت البارحة: "كدت أموت فيها"؟، فقال لي: ادخل ولا بأس عليك، فذهبت مسرعا ولم ألتفت إلى كلامه، فقال لي: يا محمد، ارجع وادخل إلى الزاوية، وإلاّ أرم عليك هذا،

وكان في يده حزمة من عصيٍّ مربوطة الطرفين، فقلت: ارم ما تريد، وأما دخـول الزاوية فلا سبيل إليه، فلما رآني مصمماً على عدم الدخول عمـد إلـى الحزمـة المربوطة وأخرج منها عصاة واحدة ورمى بها إلي، فلما وصلتني نظرتها فإذا هي ثعبان عظيم، فقلت له: يا سيدي هذا الثعبان لا يخوفني، فقال لي: لماذا؟ فقلت: أنـا من أصحاب الشيخ سيدي محمد بن عيسى، فقال لي: إذا كنت صادقا فيما ادعيـت اقبض عليه بيدك فقبضت عليه ووضعته على عنقي وهو ينظر، فقال لـي: الحـق معك وإنك مريدي، ادخل الزاوية ولا بأس عليك، قال: فدخلت الزاوية، فقال لي: يا ولدي ما أصابك؟ قلت له: يا سيدي أصابني مرض الفتاق ولي به تسع وعـشرون سنة، فقال لي: أرني إياه، ثم إنه أضجعني خلف الباب، وقلت له: يخرج مـن هنـا فتفل على وسطاه ثلاثا، وحط يده على موضع الفتاق، وقال: يا جاه سبحان الـدائم وضربني بيده الأخرى على صدري، وقال لي: قم لا بأس عليك، فاستيقظت مـن منامي من شدة تلك الضربة التي ضربني بها على صدري، وقلت له: قد شفاني الله تعالى ببركة شيخنا الكامل سيدي محمد بن عيسى وقصصت عليه الرؤيا، فقال لي: الحمد لله رب العالمين الذي شفاك وعافاك ببركة هذا الشيخ- نفعنا الله به في الدنيا والآخرة، آمين[1].

(ومن كراماته) ما أخبرني به شيخي الحاج عبدالسلام المذكور مما هو بالتواتر عن أهل مكناسة، قال: وقد وقع للشيخ رضي الله تعالى عنه مع تلميذه الشيخ الولي الصالح أبي عبدالله سيدي محمد الشابي، قال: كانت بي علة البواسير، وكانت فـي السنين الماضية تثور علي، ويحصل لي من ذلك وجع شديد أصـيح بـه صـياحا يسمعني من كان خارج الدار حتى حصل لي إياس من نفسي ويعتريني المرة بعد المرة، فلما صحبت الشيخ رضي الله عنه وصرت من أتباعه ومريديه قلـت: يـا سيدي مريدك هذا- يعني نفسه- به علة البواسير وقد عالجها وكثـر ألمهـا وقـد

(1) هنا انتهى نص الزيادة التي بالهامش من طبعة الكتاب بتونس.

صدتني عن العبادة، فهل لك يا سيدي أن تضع يدك المباركة على صلبي وتمسح بها ظهري ليحصل فيَّ من ذلك الشفاءُ إن شاء الله تعالى؟ فسكت عني ولم يرد علي جوابا، وهو ينظر إلي، وقد حصل لي من ذلك النظر الرعب الشديد استحياء منه، فأطرقت برأسي إلى الأرض، ثم قال: يا عبدالله ادن مني، فدنوت منه، فوضع راحته على صلبي ماسحا بها ظهري، وهو يقول: يا أبا عبدالله قد ذهب المرض- بإذن الله سبحانه وتعالى- فاسترحت منها في الحال، وكان ذلك آخر ما حصل لي من الألم بقدرة الله تعالى وببركة شيخنا فحل الرجال- نفعنا الله ببركاته، آمين.

(ومن كراماته) رضي الله تعالى عنه مما أخبرني به شيخنا المذكور مما هو متواتر أيضا: أن رجلا فقيها شريفا من فقهاء مكناسة الزيتون ومن أعيانها قد أصابه مرض في عينيه وانعدم إبصاره لوجود ما نزل فيها، وقد أعيا الأطباء علاجه ودام به الحال كذلك مدة مديدة، وقد ضاق من ذلك صدره، وعيل صبره فصار يبكي ليلا ونهارا، ويستغيث بالله سبحانه وتعالى ويتوسل إليه بالأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين أن يفرج عنه ما نزل به، ثم إنه ذات ليلة قام إلى فراشه لينام وهو مكروب، فرأى في منامه شخصين قد أمراه بالذهاب إلى الشيخ رضي الله عنه يدعو له بالفرج، فإن له الحظ الأوفر في إجابة الدعاء وإنه بركة أهل السماء والأرض، فلما أصبح الصباح أرسل إلى صديقاً له موسوماً بالخير، فلما حضر قص عليه الرؤية التي رآها، فقال له: يا أخي افعل ما أمرت به في نومك، فقال له الشريف: نريد منك يا سيدي أن تذهب معي إليه، فقال له الرجل: فإذا كان ولابد فإني آتيك بين المغرب والعشاء ونذهب إليه جميعا، فيكون الخير إن شاء الله تعالى، ثم إن الرجل خرج من عنده وذهب إلى داره وأتاه في الوقت المذكور، فذهبا إلى الشيخ ودخلا إلى الزاوية وسلما عليه، ثم إن الشريف قال له: يا سيدي أعطني يدك المباركة أقبلها وأمسح بها وجهي لعل الله يفرج عني مما نزل بي، فقال له الشيخ: لا باس عليك- إن شاء الله- ووضع يده على عينيه فأخذها الشريف، وصار يمسح بها وجهه وعينيه وهو يبكي ويتضرع إلى الله بجاهه، ويقول له: يا سيدي

ادع الله لي يشفيني ويفرج الكرب عني، فدعا له أن يخلصه الله مما أصابه ثم أقيمت الصلاة فتقدم الشيخ وصلى الشريف خلفه فلما انقضت الصلاة قام إليه صديقه وأخذ بيده وأراد الخروج به، فرآه الشيخ وهو خارج فأمره برده وقال له: لا تجزع فإن الفرج يأتيك قريبا- إن شاء الله تعالى- ولا تشكر في ذلك إلا الله تعالى، ثم إنه خرج من عند الشيخ وهو يبكي وله شهيق وزفير إلى أن وصل داره وفارقه الرجل الذي خرج به، ودعا له بخير وذهب إلى محله، ثم إن الشريف دخل الدار وآوى إلى فراشه لينام وهو مذهول العقل، وقد شرد النوم عنه تلك الليلة واعتراه سعال عظيم من شدة البكاء، وبقي مسترسلا معه إلى الصباح ففتح عينيه على حين غفلة فوجد الضوء داخلا من الباب، فصار ينظر إلى أثاث بيته فلم يخف عليه شيء منها، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثناء جميلا، ثم أيقظ أهله وأمرها بفتح الباب ففعلت، ثم بشرها بأن بصره قد انفتح، وتفضل الله عليه بالشفاء من بركة الشيخ رضي الله تعالى عنه، وقد استجاب الله دعاءه ثم إن زوجته خرجت وبشرت أهل منزلها كافةً.

(ومن كراماته) رضي الله عنه: أن شيخا من شيوخ الوقت ممن كان له قدم في طريق القوم من أصحاب الشيخ سيدي محمد بن صالح، وكانت له شهرة وأتباع وزاوية يطعم بها، فوقعت وحشة ومكاشرة بينه وبين سلطان الوقت، وقد أدى ذلك إلى أن صرف الشيخ المذكور همته بإهلاك السلطان وإضراره، وكان السلطان المذكور تحت كلاءة الشيخ سيدي محمد بن عيسى ورعايته ومن المنسوبين إليه فدخل عليه ذلك الشيخ المكاشر له ليلا وذلك في الغيب ليوقع به ما أراد وبيده حربة كأنها قطعة نار والسلطان بين النائم واليقظان، وقد رأى ذلك ولم تكن له قدرة على الكلام، فلما وصل إليه وهم بضربه وجد الشيخ الكامل سيدي محمد بن عيسى واقفا ويده على رأسه كالحافظ له، فقال له الشيخ رضي الله عنه: تنح عنه يا مشئوم، ألم تعلم أنه تحت كلاءتي ورعايتي وليس لك عليه من سبيل؟ اذهب فقد سلبك الله ما وهبك، فرجع ذلك الشيخ من حيث أتى مسلوباً، وكان سببا لتخليه وانحطاطه، وقد

أحس بالنقص في نفسه وفي حاله وما كان يعتاده من شأنه، وظهرت آثار ذلك ظاهراً وباطناً، وتفرقت عليه الجموع وتعطلت الزاوية، فبينما هو في بعض الأحيان في مسجد جامع القرويين وقد التقى بالشيخ سيدي أبي الرواين، فلما رآه سيدي أبو الرواين أنكر حالته لأنه كان يعرفه قبل ذلك وقد أعطاه الكشف الصحيح بأنه مسلوب، فقال له: ما شأنك؟ فأجابه وهو مكسور مدحوض حزين القلب وقص عليه خبره وما وقع له مع الشيخ سيدي محمد بن عيسى، فاغتم الشيخ أبو الرواين غمّا شديدا، ثم إن الشيخ المسلوب عطف على الشيخ أبي الرواين وقال له: يا سيدي نريد من الله ثم منك أن تكون واسطة بيني وبين الشيخ بأن يسامحني ويرضى عني، فساعده الشيخ أبو الرواين على مطلبه، وقال له: اذهب إلى مكناسة الزيتون ويكون الخير- إن شاء الله تعالى- ثم إنهما ذهبا إلى مكناسة، فقال له الشيخ أبو الرواين: نقصد دار الشيخ سيدي محمد بن عمر بن داود المختاري؛ ليكون عونا لنا على هذا الأمر، فقرعا عليه الباب فخرج وأخبراه بالقصة، وقالا له: إنا نطلب منك الإعانة لنا على هذا الأمر، فقال لهما: إذا كان يوم الجمعة- إن شاء الله تعالى- نذهب إلى الزاوية والشيخ بها ومعه الفقراء؛ فيكون أبلغ لنا في الشفاعة عنده، فاتفقوا على ذلك، ثم إن الشيخ سيدي محمد بن عمر أنزل الشيخ المسلوب عنده، فلما أتى يوم الجمعة ذهبوا إلى الزاوية والشيخ بها فوجدوه جالسا في حلقة الذكر يذكرون الجلالة، فلما فرغوا من الذكر قام إليه جميع الفقراء يصافحونه على عادتهم في ذلك، وقام معهم الشيخ سيدي أبو الرواين، وسيدي محمد بن عمر، والشيخ المسلوب، فلما نظر إليه الشيخ رضي الله تعالى عنه قال له: من أتى بك إلى هنا؟ فأخذ الشيخان سيدي أبو الرواين، وسيدي محمد بن عمر يقبلان أقدام الشيخ ويعطفانه عليه حتى قبله وعفا عنه، ثم أمره بالانصراف، فقال له: سيدي إلى أين؟ فقال له- رضي الله عنه: اذهب إلى موضعك كما كنت، فرجع إلى موضوعه وقد انجبر حاله ورجع إلى ما كان عليه أو أحسن- نعوذ بالله من السلب بعد العطاء.

(ومن كراماته) رضي الله عنه مما حدثني به شيخي سيدي الحاج عبدالسلام

برادة: أن رجلا فقيها من سكان الخيام وله دعوة عريضة في الولاية وعلوم القوم وتربية المريدين وله أتباع كثيرون وهو من المبطلين، ولما اشتهر ذكر الشيخ وعم الآفاق في أقطار المغرب وانتشرت أتباعه تحيّر المبطل من ذلك، وقال لأتباعه: إنه يريد الذهاب إليه والامتحان له، فإن وجده على الحالة الكاملة أبقاه وإلا سلبه، فأمر جماعة من خواص أصحابه أن يذهبوا معه إلى مدينة مكناسة لينظروا حاله ويسمعوا مقاله ويناظروه في علوم القوم فسار إليه ومعه أصحابه وقصدوا زاوية الشيخ فوجدوه جالسا مع أصحابه، يتكلم معهم في الحقائق المحمدية، فدخل الرجل المدعي للولاية وأصحابه معه وجلسوا بإزاء ركن من أركان الزاوية، وصار يسمع في تقرير الشيخ لأصحابه وقد انبهر عقله مما سمعه من غرر الكلام النفيس الذي ما سمعه قط ومن فصاحة الشيخ ومن بلاغته، وقد أخرسه الله تعالى عن الكلام وكذلك أتباعه الذين جاءوا معه، وصاروا يبكون على ما فات منهم، ومالوا بقلوبهم وقوالبهم إلى الشيخ رضي الله عنه، فلما فرغ الشيخ من الكلام التفت إلى الفقيه المبطل، وقال له: ادن مني، فقام إليه ودنا منه، وقال له: أدخل رأسك هنا تحت جناحي وانظر ماذا ترى؟ فوضع المدعي رأسه تحت جناح الشيخ، فقال له: انظر وأعد علينا ما رأيت، فقال له المدعي: يا سيدي قد رأيت خيمتي في الحلة التي أنا نازل بها، فقال له الشيخ رضي الله عنه: وما ذلك الذي فيها؟ فقال: زوجتي، فقال له الشيخ: وما تفعل زوجتك؟ فأخبره- وكانت تزني مع شخص من أهل الحلة وهو ينظر إليهما- فقال له الشيخ رضي الله عنه: حسبنا الله ونعم الوكيل- والناس كلهم يسمعون مقالته إلى الشيخ- ثم إن الشيخ قال له: يا مبطل الذي لم يحفظ زوجته ولا خيمته كيف يحفظ أبناء الرجال؟ ثم نهره، وقال له: اذهب عني خيبك الله، فخرج وهو مذهول العقل وخرج أصحابه معه، فركب ولم يدر ما جني له في الغيب، وتوجه إلى بلاده ومعه أصحابه، فلما وصل إلى خيمته وجد زوجته قد ماتت في ذلك اليوم الذي جاء فيه، فأخبره أهل الحلة أنها كانت بالأمس صحيحة ليس بها مرض فاعتراها نفخ في بطنها وتعاظم بها الأمر حتى ماتت، وقد أخبروه بما فعلت

في غيبته، فاغتاظ غيظا عظيما ومكث في خيمته وهو كئيب ذليل حزين، واعتــراه قلق عظيم مما أصابه من الأمر الذي وقع له مع الــشيخ مــن قــضية زوجتــه، وافتضاحه على رءوس الأشهاد وقد ندم على فعله، وتيقن أن سبب المرض الــذي اعترى زوجته؛ فمن تسلط الشيخ عليها حيث فعلت الفاحشة وهي محصنة، فــدعا عليها بذلك، وقد بلغني عنه بأن له السهم النافذ في إجابة الدعاء- رضي الله تعالى عنه- ثم أنه رفض جميع ما في قلبه من الرعونات وعول على السفر إلى الــشيخ والرجوع إليه والتوبة بين يديه، وأن يدخل في طريقته، ويصير من جملة أتباعــه، فقام مسرعا من حينه وركب فرسه، وتوجه قاصدا نحو الشيخ يطلب منــه الرضــا والصفح عما مضى، فلما وصل إلى مدينة مكناسة ذهب إلــى دار الــشيخ الــولي الصالح سيدي موسى بن عمران المختاري؛ إذ هو من خواص أتباع الشيخ، فقــرع عليه الباب فخرج له وسلم عليه، وقال له: يا سيدي نطلب من فضل الله وإحــسانه، ثم من فضلكم أن تتشفع عند الشيخ في أخيك هذا الجاني على نفسه على أن يقبلني بمحض الفضل والإحسان، ونتوب على يده، وندخل في طريقته، ونصير من جملة أتباعه لعل الله يرحمني، فأجابه إلى ذلك لما يعلم من صفاء باطن الشيخ- رضي الله عنه- فذهبا جميعا إلى الشيخ ودخلا عليه، فتقدم إليه تلميذه الشيخ سيدي موسى بن عمران المذكور، وصار يقبل أقدام الشيخ ويقول: يا سيدي شفعني في هذا الرجــل الذي معي- والرجل يبكي ويفعل كفعله،ويقول: يا سيدي أنا تائب لله، فقال الشيخ: يا أبا عمران قد قبلت شفاعتك فيه، وقبلته مريداً في الله، وعفوت عنه من فــضل الله، ثم إن ذلك الرجل تاب على يد الشيخ، ودخل في طريقته، وصار من أتباعه، وأقام عنده نحو ثلاثة أشهر بالزاوية هناك، وهو ملازم هناك للشيخ، ومراقب له في جميع أوقاته المدة المذكورة، وفاز بالرشد والفلاح، وتهيأ إلى الــصلاح، ثــم إن الرجــل المذكور طلب من الشيخ الرجوع إلى بلاده فأذن له في ذلك وأمره بالتزويج، فقــام بعد أن ودع الشيخ، فركب وسار إلى بلاده وتزوج بزوجة صالحة كما أمره الشيخ وقد أصلح الله حاله، وأحسن بمنه مآله، وصار من عباد الله الصالحين، بعد أن كان

من المنافقين- نعوذ بالله العظيم من التعرض لأوليائه.

(ومن كراماته) رضي الله تعالى عنه أن رجلا من أهل مكناسة الزيتون تولى خطة القضاء بها ودام في الخطة المذكورة سنينا عديدة ولم تحفظ عليه هفوة، فمرض مرضا وتوفي إلى عفو الله ودفن بمقبرته فلما أقبر صار يصيح في كل ليلة صياحا مفرطا يسمعه القريب والبعيد وتمادى به الحال على ذلك وضجت الناس من ذلك فأتوا إلى الشيخ واخبروه بالخبر، فتغير الشيخ من ذلك تغيرا عظيما وقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وبسط كفيه وقال اللهم بجاه سيدنا ومولانا محمد صاحب الجاه العظيم أن تخفف عنه العذاب النازل به ثم أمر جماعة من تلاميذه يذهبون إلى المقبرة ويدورون بالقبر ويقرءون عليه سورة "تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير" ففعلوا ذلك فمن تلك الليلة لم يسمع له صياح وقد رآه رجل من أقاربه موسوما بالخير في عالم الخيال وهو على أحسن هيئة فسأله عن حاله فقال له قد غفر الله لي بسبب دعاء الشيخ سيدي محمد بن عيسى نفعنا الله ببركاته آمين.

(ومن كراماته) رضي الله عنه: أنه كان كثير العطب لمن يؤذيه أو يؤذي تلاميذه منها ما أخبرني به الشيخ سيدي الحاج عبدالسلام برادة أن رجلا من أهل فاس كان من أهل الخير والصلاح من تلامذة الشيخ سيدي محمد بن عيسى له أرض معدة للحراثة مخلفة عن جده شركة بينه وبين أولاد عمه، ويتصرفون فيها بالحراثة والإزراع والإكراء على قدر مَنَابَاتِهْم[1] فيها، فقام عليه أولاد عمه قائلين له إن المناب الذي عندك من الأرض أكثر من حقك فيها وطال الكلام بينهم في ذلك، وترافعوا لدى القاضي بفاس، فحكم بأن الحق مع أولاد عمه من غير تأمل ولا ثبوت وألزم الرجل أن يعترف لهم بالزائد على منابه جورا منه في الحكم إذ كان

---

(1) مَنَابَاتِهْم: جمع مَنَاب والمناب هو الحصة.

أولاد عمه من معارف القاضي، فقال له الرجل: يا سيدي تقضي علي من غير ثبوت بل بمجرد الدعوى فقال له القاضي قد ثبت عندي صدقهم، وإذا لم تعترف لهم بما أمرتك به، نأمر الآن بسجنك فقال له الرجل: يا سيدي ليس لي قدرة عليك إلا بالله تعالى وبأوليائه، وأنا رجل فقير[1] عيساوي الطريق أذهب إلى شيخي وأشكوك له فقال له القاضي وهو يتهكم عليه: اشكوني له، وقل له يعزلني، فخرج الرجل وهو يبكي، ثم ذهب إلى الشيخ وأخبره بما وقع له مع القاضي، وأنه قد جار عليه في الحكم قال: وقد قلت له: أشكوك لشيخي، فقال لي: قل له يعزلني، فقال له الشيخ رضي الله عنه: عزله بيد الله، والله قادر عليه؛ فعزل القاضي في ذلك اليوم، وقد نسبوه إلى الزور، وأخذ الرشا على الحكم؛ فعزله السلطان عزلا شنيعًا مؤبداً ونكل به أشد التنكيل، فلم يزل معزولا إلى أن مات.

(ومن كراماته) الشائعة الذائعة ما اتفق له مع وزير السلطان بمكناسة الزيتون وهو: أن الوزير غضب على بعض خدامه فهرب خديم منهم إلى زاوية الشيخ رضي الله عنه، فسمع الوزير بذلك فأرسل إلى الشيخ وهو يطلب منه أن يرسل له الخديم المذكور، وعليه الأمان التام، فأعلم الشيخ بذلك فأحضر الخديم بين يديه، وقال له: إن شئت أن تذهب إلى مخدومك فافعل، فقال له الخادم: يا سيدي إن ذهبت إليه أخاف أن يقتلني، فقال له الشيخ: إن قتلك قتله الله، فذهب الخديم إلى مخدومه الوزير، وبات عنده ليلتين، وفي الثالثة قتله، ولم يظهر له أثر، فجاءت أمه إلى الشيخ، وقالت له: يا سيدي إن ولدي قتله الوزير، فقال لها الشيخ: قد سبق ذلك في سابق علم الله، وأن الوزير سيلحقه الآن، فمرض الوزير في تلك الليلة، وسلط الله عليه أكلة في جسمه، فتمزق قطعا شيئا فشيئا، ومات، فاعتبر الناس والسلطان من ذلك ومن ذلك الوقت زاد السلطان والأمراء في احترام حرم زاوية الشيخ، حتى أن

---

(1) الفقراء: مفردها فقير، تعني الفقير إلى الله، وفي مصطلح أهل الطريق هو كل من انتسب لطريقة صوفية.

الذي يفعل ما عسى أن يفعل من عظائم الجنايات ويذهب إلى الزاوية فلا يلحقه أحد.

(ومن كراماته) رضي الله تعالى عنه ما حدثني بـه شـيخي سـيدي الحـاج عبدالسلام برادة: أن رجلا من أهل فاس وكان من أتباع الشيخ رضـي الله عنـه، وكان له ولد من أتباعه أيضا وقد تملكت به جنية بسبب دعاء قرأه لأجلها، وكان له ثلاث من النساء فتركهن وصار لا يكلمهن ولا يقرب سـاحتهن، وكانـت الجنيـة شرطت عليه ذلك فأطاعها لما تريد، وكن يتزين ويلبسن أحسن ثيـابهن ويتبـرجن ويتعرضن له فلا ينظر لهن ولا يلتفت ولا يرفع لهن رأسا، فأعياهن ذلك، فـشكون إلى والده فلما سمع من نسائه ذلك عظم عليه الأمر فركب من حينه وذهـب إلـى الشيخ، فوجده جالسا مع أصحابه بالزاوية فدخل وسلم وجلس أمامه ثم بكى فقال له الشيخ: ما يبكيك؟ فأخبره بحال ولده وما وقع له من الجنية ونسائه، ثـم إن الـشيخ أوصى والد الولد المذكور على أن يحضر بين يديه قال له: نعم يا سيدي وبات تلك الليلة بالزاوية مع الفقراء ثم ركب ورجع إلى فاس واجتمع بولده وقال له: غـداً إن شاء الله اذهب إلى الشيخ فإنه يأمرك بالقدوم لديه، ثم أن الولد ذهب إلى الشيخ، فلما وصل إليه سلم عليه وقبل يديه، وقال له الشيخ: طالت غيبتك عنا، فاعتـذر إليـه بأشغال الدنيا وأسبابها، فلم يقبل الشيخ ذلك منه وجعل يعاتبه ويوبخه على أفعالـه فبلغ ذلك منه الحرج وضيق الصدر من كلام الشيخ ومن هيبته، ثم سـكت الـشيخ وقال: يا فلانة فإذا بالجنية قد حضرت ووقفت بطرف الزاوية بعيدة عـن الـشيخ، فقال لها الشيخ: أنت التي فعلت بهذا الرجل هَاتِهِ الفعال الذميمة، حتى أنـه تـرك زوجاته من أجلك؟- وهي ساكتة حياء منه- فقال لها الشيخ: تكلمي، فقالـت: يـا سيدي ما أتيته باختيار مني، وهو الذي خطبني بسبب دعوة قرأها واستخدمها لأجلي فقال لها الشيخ رضي الله عنه: وحق الاسم العظيم الأعظم لئن عدت إليه بعد هـذا اليوم لأفعلن بك ما تَرَيْ، فذهبت وكان ذلك آخر العهد بها، ولم تعد إليه بعد، وعاد الرجل إلى زوجاته كما كان، وأصلح حاله ببركة الشيخ- نفعنا الله بأسراره، آمين.

(ومن كراماته) رضي الله تعالى عنه مما رأيته مزبوراً بخط تلميذه الشيخ الفقيه العالم الولي الصالح أبي الحجاج سيدي يوسف بن أبي مهدي الفجيجي، قال: كنا ذهبنا مع شيخنا سيدي محمد بن عيسى إلى زيارة ضريح القطب الكبير والغوث الشهير مولانا وسيدنا عبدالسلام بن مشيش[1]، بجبل العلم، فلما وصلنا إليه تقدم الشيخ وحده وزار الضريح المبارك ثم أمرنا أن نزور بعده وذهب الشيخ إلى خيمته المعدة له، ثم ذهبنا نحن إلى خيامنا، فلما دخل وقت العصر خرج الشيخ من خيمته وخرجنا معه إلى الصلاة، فتقدم وصلينا خلفه فلما فرغنا من الصلاة قام الشيخ، وقمنا معه، وجلس على قمة الجبل مستقبلا للقبلة، قريبا من الضريح، وجلسنا أمامه فصار الشيخ يحدثنا عن قدرة الله تعالى وعظمته وجلاله وكرامات أوليائه، إلى أن قال: فمن كرامة الله تعالى لهم إذا قال أحدهم لهذا الجبل: تحرك؛ يتحرك بقدرة الله وجلاله وعظمته، قال: فتحرك بنا الجبل من حينه، فمشينا وصرنا نتشبث بالحجارة التي هناك، فقال له الشيخ رضي الله عنه: اسكن أيها الجبل بقدرة الله تعالى إنما ضربت بك المثل، فسكن الجبل من حينه.

(قلت): وهذه الكرامة شبيهة بالكرامة التي يرويها الشيخ سيدي عبدالله بن سلطان عن شيخه القطب سيدي أبي الحسن الشاذلي[2] رضي الله تعالى عنه، قال: كنت ذات يوم جالسا مع أستاذي القطب مولانا عبدالسلام بن مشيش رضي الله عنه

---

(1) هو سيدي عبد السلام بن مشيش الإدريسي، ينحدر أصله من السادة الأشراف الأدارسة، توفي مقتولا سنة 625هـ/1228م دفنٌ بجبل العلم، تتلمذ إليه أبو الحسن الشاذلي قبل قدومه إلى تونس. له نص صلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، عرف باسم : "الصلاة المشيشية"، ترجم له في "جامع أصول الأولياء" للقلقشندي و"الطبقات الكبرى" للشعراني، و"سبك المقال" لابن الطواح، و"المفاخر العلية في المآثر الشاذلية" لابن عباد.

(2) هو القطب الكبير سيدي أبو الحسن الشاذلي علي بن عبد الجبار الإدريسي الحسني، نسب إلى شاذلة بتونس،مؤسس الطريقة الشاذلية، له أحزاب كثيرة منها حزب البر وحزب البحر وحزب الآيات، توفي في ذي القعدة سنة 656هـ، ودفن بحُمَيْثرا بمصر، ترجم له في كتب لاتحصى من أهمها كتاب"المفاخر العلية في المآثر الشاذلية" لابن عباد.

على رأس جبل العلم بقرب الخلوة، وكان الشيخ يتلو القرآن العظيم، إلى أن وصل إلى قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ (الأنعـام:70) الآية، فأصـاب الشيخ حال عظيم، وكان يتمايل يميناً وشمالاً، والجبل يميل معه حيثما مال الـشيخ سيدي أبو الحسن، فكنت أقبض بيدي الأرض والحجارة مخافةً من ذلك، وكان مـن دعاء الشيخ سيدي عبدالسلام بن مشيش: "**اللهم من سبقت له الشقاوة فـلا يـصل إلينا، ومن وصل إلينا فأنا شفيعه يوم القيامة**".

(ومن كراماته) رضي الله تعالى عنه ما حكاه تلميـذه الـشيخ أبـو الـرواين المحجوب، قال: كان شيخنا سيدي محمد بن عيسى رضي الله عنه يجلس بأصحابه بين المغرب والعشاء بالزاوية، وذلك على الـدوام والاسـتمرار، بقـصد التربيـة لأصحابه والتهذيب لهم، فإذا جاء فصل الشتاء ونزل المطر في ذلك الوقت، ونحن جلوس بين يديه، وأردنا الانصراف إلى أهالينا بعد الصلاة في الوقت المعتاد أقلـع المطر لا محالة عادةً جاريةً حتى يصل كل واحد منا إلى محله، ثم يعود المطر إلى حاله، وذلك من بركته رضي الله عنه.

(ومن كراماته) رضي الله عنه مما بلغني بالتواتر عن أهل مكناسة الزيتـون: أن الشيخ كان جالسا في بعض الأيام في بعض مصلاه أمام الزاوية ومعه خـواص أصحابه، وقد جاءه وزير السلطان المريني برسالة من عند سلطانه، فجلـس أمـام الشيخ بعد أن فعل الواجب، وإذا بطائر وهو الطائر المعروف بالبلورج[1]، وسـنح أمام الشيخ، فما رفع الشيخ بصره حتى سقط الطائر ميتا، وتطاير الريش منه، فلما رأى الوزير ذلك انبهر عقله، وتعجب غاية العجب، فقام وهو يبكي وأتى إلى الشيخ وقبل يده وتكلم معه سرّا، قال الحاضرون: فسمعنا من الشيخ وهو يقول له: إن شاء الله تعالى، ثم إن الوزير خرج من عند الشيخ وركب فرسه، وتوجه إلى فاس وهـو متعجب من أمر الطائر.

---

(1) هكذا بالأصل، ولم أعثر عليه بالقاموس المحيط، وهو اسمٌ أعجميٌّ، ولعل فيه تحريفاً.

(قلت): وهذه الكرامة أيضا شبيهة بالكرامة على يد الشيخ سيدي عبدالقادر الجيلي[1] رضي الله تعالى عنه، حين ذرق عليه العصفور وهو يتوضأ، فرفع رأسه وهو طائر فسقط ميتا، فلما تم وضوءه غسل الثوب وباعه وتصدق بثمنه، وقال: هذا بهذا رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

(ومن كراماته) رضي الله تعالى عنه مما هو متواتر عن أهل فاس وقد حدثني به شيخي الحاج عبدالسلام: أن رجلا من أعيان فاس، وكان من تلامذة شيخنا، وكان في كل شهر يذهب إليه بقصد الزيارة والاجتماع به وبالفقراء ويبيت بالزاوية هناك ليلة، ومن الغد يرجع إلى فاس، هذه عادته، فلما كان في بعض الأيام أتاه رجل من جيرانه فقيه من كتبة السلطان، وقال له: يا سيدي، إذا أردت الذهاب إلى شيخك فأعلمني بذلك لنذهب معك إليه، وننظر حاله، ونسمع مقاله، لأن مولانا السلطان يثني على الشيخ كثيرا بالثناء الجميل، ويقول: هو صاحب الوقت[2] في هذا الزمان، وإن الحَلَّ والعَقْد بيده، وقد اتخذته وسيلة بيني وبين الله، وكان هذا الرجل الكاتب ينكر كرامة الأولياء، وأن جميع أهل فاس يعلمون منه ذلك حتى السلطان فقال له التلميذ: إذا صفت نيتك فلا بأس بذلك، وأنا غداً إن شاء الله تعالى عازم على الذهاب إليه، فقال له الكاتب: غداً إن شاء الله تعالى آتيك بعد صلاة الصبح، وذهب إلى محله، ومن الغد جاء إليه وهو راكب على فرس من عتاق الخيل، وذهبا إلى الشيخ، فدخل التلميذ على عادته وسلم عليه بأكمل سلام، ثم استأذن الشيخ في دخول الكاتب، فأذن له في ذلك فدخل وسلم على الشيخ وجلس في جملة الأتباع، وصار

---

(1)عبد القادر الجيلي، ويلقب أيضا بالجيلاني أو الكيلاني هو محيي الدين أبو محمد بن أبي صالح زنكى دوست الحسني، ولد (470/1077م)، وتوفي سنة 561هـ/1066م) ودفن ببغداد، يعد من أكبر الأقطاب وأبرز صوفية الإسلام، له كتب جليلة في المعارف الصوفية، وآداب السير الصوفي منها: "فتوح الغيب" و"الغنية لطالبي الحق" و"الفيوضات الربانية"، وله ديوان شعر يعرف باسمه.

(2) صاحب الوقت: يعني المفهوم ذاته الذي يحيل عليه قطب الزمان.

يسمع في كلام الشيخ ووعظه لأصحابه، وكان كلامه متوجها إليه لا إلى غيره من سوء الظن وعدم الاعتقاد، فتغير قلبه وندم على المجيء إلى الشيخ، وبقي متغيرا كذلك إلى الصباح، فلما جاء الشيخ إلى الزاوية وقت صلاة الصبح وجد الكاتب جالسا مع الأتباع هناك، فتقدم الشيخ إلى الصلاة والأتباع خلفه والكاتب معهم، فلما انقضت الصلاة قام الكاتب، وتكلم مع صاحبه على أن يرجعا إلى فاس، فقال له: نعم، وأمر عبدا له كان معهما أن يأتيه بالفرس وخرج من الزاوية ينتظر العبد والفرس، ثم إن الشيخ رضي الله عنه أمر تلميذه سيدي أبا الرواين، وقال له: اخرج للفرس الذي جاء عليها هذا الكاتب المنكر لكرامات الأولياء، وقل لها: لا تتركِ صاحبك يركب عليك، قال له: نعم، فخرج فوجد العبد قد أتى بالفرس، فحاذاها سيدي أبو الرواين وقال لها مقالة الشيخ، فتمنعت عليه الفرس وانتصبت حتى صارت كأنها الكلب الكالب، ولم يبق لصاحبها طمع في القرب منها البتة فرجع إلى الزاوية، وأخبر صاحبه الذي جاء معه بخبر الفرس وما وقع له معها، فتقدم صاحبه إلى الشيخ وأتاه حبواً، وقال له: يا سيدي، سألتك بالله العظيم، وبالنبي الكريم، أن تصفح وتتجاوز عن هذا الرجل، فقال له الشيخ: أنا ما فعلت هذا الفعل إلا لأجل إنكاره لكرامات الأولياء، ثم إن الكاتب المذكور أقبل على الشيخ يقبل أقدامه ويطلب الرضا والعفو عنه، فرضي عنه وعفا عنه وسامحه، وأمره بالتوبة فتاب على يده توبة نصوحاً، وقد شفاه الله من أمراض قلبه، وأذعن للشيخ واعترف بالحق، ثم سلم على الشيخ وطلب منه الدعاء، فدعا له بخير، وتوجه مع صاحبه إلى فاس وهو فرِحٌ بانعطاف الشيخ عليه.

(ومن كراماته) الشائعة رضي الله تعالى عنه ما حكاه تلميذه الشيخ سيدي محمد بن عمر بن داود المختاري، قال: كانت زوجتي قد أصابها صداع في رأسها وتألمت منه الألم الشديد، وقد كانت هي وجميع من بدارنا من أتباع شيخنا رضي الله عنه، فكان في بعض الليالي وقد اشتد بها المرض حتى تصيح ويسمع صوتها

من كان خارج الدار، وصارت تتوسل إليه بالشيخ سيدي عبدالقادر الجيلي، وتقول: يا سيدي عبدالقادر صرختك وبركتك معي، ثم أخذها النوم فنامت، فرأت الشيخ سيدي عبدالقادر في النوم كأنه داخل عليها إلى البيت وعلى رأسه عمامة خضراء وعباءة حمراء اللون، فقال لها: كم تناديني وتستغيثي بي وأنت لا تعلمي أنك في زاوية شيخك وفي حمايته، وهو رجل من المتمكنين والمتصرفين في أحوال الدنيا، و"**نحن لا نجيب من دعانا وهو في حماية غيرنا من أولياء الله**"، وقد يحق لك أن تقولي: يا سيدي محمد بن عيسى، فيعافيك الله، فقالت ذلك فأصبحت برئة، كأن لم يكن بها مرض أصلا، قال: ولما ذهبت إلى الزاوية عند صلاة الصبح وجدت الشيخ هناك فلما أتيته لأسلم عليه ضحك في وجهي، وقال لي: قل لزوجتك تشكر الله تعالى وتثني بالجميل على المؤدب الذي أدبها البارحة، فقلت له: يا سيدي، خيرنا كله من بركاتكم ورضاكم عنا، وقد تعجبت من صحة كشفه واطِّلاعه على أحوال مريديه.

قلت: ويؤيد مقالة الشيخ سيدي عبدالقادر الجيلي: "نحن لا نجيب من دعانا وهو في حماية غيرنا" ما قاله الشيخ الولي الصالح العالم العلامة سيدي مصطفى البكري المصري[1] رحمه الله: "**أن** من كان متمسكاً بطريقة شيخ كامل ناصح فلا تقضى له حاجة من حوائج الدنيا ولا من حوائج الآخرة إلا على يد شيخه".

(ومن كراماته) رضي الله عنه ما سمعته بالتواتر من أهل مكناسة يتحدثون به عن الشيخ أن وزير السلطان المريني وضع على قبيلة من قبائل العرب يقال لهم: "السوالم" جانباً من المال يدفعونه له في مصالح الجيش، ولا قدرة لهم على دفعه، فأتوا إلى الشيخ وطلبوا منه أن يتشفع لهم عند الوزير بأن يحط عليهم النصف من المال يدفعون له النصف الآخر، فقال لهم الشيخ: نعم- ويفعل الله ما يشاء- ثم إن

(1) هو العلامة مصطفى بن كمال الدين البكري الصديقي الحنفي (1099_1162هـ/1688_1749م) الشهير بالقطب البكري شاعر فقيه صوفي ولد في دمشق وتوفي في القاهرة في 18 ربيع الثاني من تصانيفه الكثيرة، "ورد السَّحَر"، الفتح القدسي، برء الأسقام، الدر الفائق، ألفية في التصوف وسبعة دواوين شعر معجم المؤلفين الصوفيين ص467.

الشيخ أرسل للوزير رجل من أصحابه وأعلمه بقضية السوالم وبطلبهم منه الشفاعة فيهم على نحو ما ذكر فلم يرض الوزير بذلك، وقال: لا نقبل شفاعة أحد فيهم ثم إن الرسول رجع إلى الشيخ وأعلمه بمقالة الوزير، فتغير من ذلك وقال للسوالم: اذهبوا إلى أماكنكم فلا قدرة له عليكم، وإنما القدرة لله الواحد القهار، فخرجوا وذهبوا إلى منازلهم، ثم إن الوزير لما خرج رسول الشيخ حصل له ورم في بطنه، وسرى في جميع بدنه حتى كاد يهلك، فأرسل لبعض العارفين بالطب فعالجوه وعجزوا عن مداواته والمرض في ازدياد وهو يتضجر، فقال له بعض نصحائه: يا سيدي، هذا المرض الذي أصابك ليس بمرض، وإنما هو من تغيُّر خاطر الشيخ سيدي محمد بن عيسى عليك، فقال الوزير: هذا هو الصواب، فاحملوني إليه، ونستعطفه ونطيب خاطره، لعل الله يرزقني بالشفاء، فحملوه في محفة، وساروا به ومعه خواصه، فلما وصل إلى الشيخ ودخل عليه قال له الشيخ: الآن جئتني يا قليل الأدب ألم تعلم أن الله تعالى يغضب لغضب أوليائه، فصار أصحابه يترفقون بالشيخ وهو معهم حتى حَنَّ عليه، وعفا عنه وسامحه، وأوصاه بأن لا يعود إلى قلة الأدب، ثم أمر رضي الله عنه بسويق ممزوج بسمن وعسل، فلما حضر بين يديه، وضع يديه المباركة فيه وقال له: كلْ من هذا تبرأ- إن شاء الله تعالى- فأكل الوزير منه ثلاث لقيمات فوجد الشفاء، وخف عليه الحال من حينه، فلما رأى نفسه كذلك قال للشيخ: يا سيدي إني قد رفعت عن قبيلة "السوالم" المال الذي وضعته عليهم، ولا أقربهم بسوءٍ أبداً ما دمت في قيد الحياة.

(ومن كراماته) رضي الله تعالى عنه مما هو شائع: أن رجلا أعجميا من الخوارج[1] دخل المغرب واستقر بتوات وادعى الولاية الكبرى، وأن له إذنا عاما

(1) الخوارج: كل من خرج عن الإمام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة، يسمى خارجيًّا سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين لهم بإحسان، أو الأئمة في كل زمان. "الملل والنحل" للشهرستاني، ت: محمد سيد كيلاني- دار المعرفة- بيروت، سنة 1404هـ- ج1، ص113.

في تربية المريدين، وله دعوى عريضة في علوم القوم والتنزلات الإلهية، وكان يبغض الخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عنهم، فاجتمع عليه من العامة هناك خلق كثير، وكان يكاشفهم بما يقع لهم في بيوتهم مع أهاليهم ويخبرهم بجميع أحوالهم كلها من بيع وشراء وحراثة وغير ذلك، وأن له جنية صاحبها بطريق الاستخدام وهي التي تخبره بجميع الوقائع التي يدعي الكشف بها، ولما كثر أتباعه وعلم اعتقادهم فيه أمر بعضا من كبار مريديه أن يكتبوا له أسماء جميع مريديه صغارا وكبارا ويجمعونها في كتاب ويأتون به إليه ليطلع على ذلك ففعلوا، فلما نظر في الكتاب المذكور واطلع على الأسماء كلها فمن وجد اسمه أبا بكر أو عمر أو عثمان أو عليا رضي الله تعالى عنهم يشطب على ذلك الاسم ويأمر بإتيان الشخص المسمى به ويحول اسمه باسم آخر حتى حول جميع أسمائهم، وذلك من شدة بغضه للخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عنهم وعن الأولياء أجمعين، ولما وقع منه هذا الأمر ذهب بعض من أقارب الأشخاص الذين حوّل أسماءهم ممن لم يدخل في طريقته إلى القاضي، وأخبره بذلك فثبت عليه ذلك وصعب عليه رده لكثرة أتباعه، فأرسل القاضي إلى السلطان وأخبره بما وقع وأنه عاجز عنه، فلما اتصل هذا الخبر بالسلطان تغير وبقي مفكرا في أمر هذا الرجل وما يفعل معه، فاقتضى رأيه أنه يرسل الوزير إلى الشيخ سيدي محمد بن عيسى رضي الله تعالى عنه ويعلمه بما أخبر به قاضي "توات" عن حال هذا الرجل الأعجمي، وفعله القبيح واعتقاده الفاسد، وأن السلطان رد هذا الأمر إليك وما تشير به علي نفعله، فلما سمع الشيخ مقالة الوزير غضب غضبا شديدا وقال قبّحه الله من ملحد وأمسك عن الكلام، ثم قال للوزير: ها أنا أكتب إليه كتابا لعله يتوب ويرجع عن الاعتقاد الفاسد، فإن رجع وتاب فبها ونعمت وإلا نرسل له بإذن الله تعالى دويبة من حشرات الأرض تقتله، فكتب له كتابا يأمره فيه بما ذكر وفي آخره: وإن لم تتب فإن الله يرسل لك دويبة من حشرات الأرض تقتلك، وطوى الكتاب وناوله للوزير وأمره بإرساله للأعجمي،

ثم إن الوزير رجع إلى السلطان وأعلمه بأن الشيخ كتب للأعجمي، كتابا ينهاه فيه عن اعتقاده الفاسد، ويأمره بالتوبة لله تعالى وكتب له في آخره وإن لم تتب وترجع عن هذا الاعتقاد فالله يرسل لك دويبة تقتلك، وقد أرسلت الكتاب المذكور مع شخص من الدوائر فانشرح قلب السلطان لذلك وتعجب من كلام الشيخ، ثم إن الخديم لما وصل إلى توات ذهب إلى القاضي، وقال له: أرسل معي رجلا من أتباعك يذهب معي إلى محل الرجل الأعجمي فإني لا أعرفه، فقال القاضي: أنا أذهب معك وأدلك عليه، فذهبا معا وقرعا الباب عليه فخرج رجل من أتباعه فقالا له: قد أردنا الاجتماع بالشيخ، فأعلمه بذلك فأمر بإدخالهما إليه فدخلا ثم إن الخديم أخرج الكتاب وناوله إياه، فأخذ الأعجمي وفكه وقرأه، فصار يحرك رأسه استهزاء بقول الشيخ، ومزق الجواب، وقال للخديم: قل له يرسل ما يريد، فخرج القاضي والخديم وذهب كل منهما في حال سبيله، فلما جاء الليل وأراد الأعجمي أن ينام في خلوته، فلما استقر في فراشه دبت عليه عقرب ودخلت بين رجليه، فلدغته في أنثييه فمات في الوقت، وقد أراح الله منه البلاد والعباد.

(ومن كراماته) رضي الله تعالى عنه ممّا هو مأثور عن تلميذه الشيخ سيدي محمد بن عمر بن داود المختاري قال : لقد جئت يوما إلى شيخنا، وقلت له: يا سيدي مريدك قد تعلق بخاطره الاجتماع بالسيد الخضر عليه السلام[1] لعلمي أنه من أحبابك، ونريد من فضل الله وفضلكم أن تجمع بيني وبينه في هذا اليوم، فقال له

---

(1) سيدنا الخضر عليه السلام: نبي ورسول، قال سيدي محيي الدين بن عربي: "أبقى الله تعالى بعد وفاته عليه الصلاة والسلام من الرسل الأحياء بأجسادهم في هذه الدار أربعةً: إدريس وإلياس وعيسى والخضر عليهم السلام، والثلاثة الأول متفق عليهم، والأخير مختلف فيه عند غيرنا"، وقال الإمام النووي إمام أهل الحديث: "جمهور العلماء على أنه حي موجود بين أظهرنا". شرح صحيح الإمام مسلم للنووي-ج15، ص135. قال الإمام الجزولي: "أحمد الخضر نبي مرسل أرسله الله تعالى إلى قوم في البحر"، ولسيدي ماء العينين الشنقيطي رسالة بعنوان: "السيف والموسى في قضية الخضر وموسى" ولنوح بن مصطفى الحنفي الرومي رسالة بعنوان: "القول الدال على حياة الخضر ووجود الأبدال" .

الشيخ: يا ولدي أخاف عليك أن لا تستطيع رؤيته، فقال له: سألتك بالله اجمعني به ولو كان في ذلك إتلاف روحي، فقام الشيخ ودخل إلى خلوته وغاب عني ساعة، ثم خرج من الخلوة ومعه رجل أبيض اللون مشرب بحمرة طويل القامة وعليه ثياب بيض، فلما وقع بصري عليه صرت أرتعد من عظم هيبته وكثرة أنواره، وقد ثقل جسمي وخرس لساني على النطق، فجلس بإزاء الشيخ رضي الله تعالى عنهما، وصارا يتحدثان ويتكلمان بكلام خفيف وأنا ماكث ذاهل العقل لا قدرة لي على الكلام، ثم إن السيد الخضر عليه السلام التفت نحوي ونظر إلي، وقال للشيخ: يا سيدي محمد، أستوصيك خيراً بابن عمر فإنه سيصير رجلا له شأنٌ عظيم، ثم لما أراد الانصراف قرأ هو والشيخ فاتحة الكتاب ثلاث مرات، وقرأ سورة لإيلاف قريش ثم صليا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم إنه خرج وقام معه الشيخ وشيَّعه إلى باب الزاوية، وأنا باقٍ على حالتي، فلما رجع الشيخ وضع يده المباركة على رأسي فذهب عني ما كنت أجده من الثقل في أعضائي وانطلق لساني، ورجعت لما كنت، والحمد لله، فأخذت يد الشيخ وقبلتها، فقال لي: يا ولدي، ها أنا قد جمعتك بالسيد الخضر عليه السلام، ونجمعك- إن شاء الله- بسيد الوجود صلى الله عليه وآله وسلم.

(ومن كراماته) رضي الله تعالى عنه مما هو مأثور عن تلميذه الشيخ سيدي أبي الرواين المحجوب، قال: وقد كان في بعض السنين في حياة شيخنا لما أتى شهر ربيع الأنور، وقد وردت علينا الوفود من الأتباع وغيرهم من سائر أقطار المغرب لقصد زيارة الشيخ في هذا الشهر المبارك على عادتهم في ذلك، وهذه العادة جارية وباقية مستمرة بمغربنا من حياة الشيخ رضي الله عنه إلى زماننا هذا، فلما كانت ليلة الميلاد أتوني وكلاء الطعام، وقالوا لي: عندنا من الطعام والسمن والغنم والبقر شيء كثير إلا العسل، فعندنا منه جانب قليل لا يفي بهذه الأركاب في السبعة الأيام، فها نحن أعلمناك بذلك، قال: فذهبت إلى الشيخ وأعلمته بالخبر،

فسكت عني ثم قال لي: مُرْ وكلاءَ الطعام يذهبون في هذه الليلة عند ثلث الليل الأخير إلى وادي "أبي فكران"[1] وأنت معهم، واحملوا معكم الأواني الفارغة واملئوها من ماء الوادي وأرجعوها إلى محلها، فإذا حضر طعام العصيد وأردتم وضع العسل فيه فصبوا عليه من ذلك الماء فتجدونه عسلا طيبا بقدرة الله تعالى، وأطعموا الوفود منه وفضل الله سبحانه وتعالى يعم الجميع، ثم إن الشيخ سيدي أبا الرواين ذهب إلى الوادي ومعه الوكلاء، وفعلوا كما أمرهم به الشيخ رضي الله تعالى عنه، فلما حضر الطعام وضعوا مكان العسل من ذلك الماء فوجدوه عسلا طيبا كما قال الشيخ، ثم بعد ذلك أتاه تلميذه سيدي أبو الرواين المذكور وهو يبكي فقال له الشيخ: ما يبكيك يا أبا الرواين؟ فقال: يا سيدي، إذا عشنا في هذه الدنيا بعدك فمن نسأله في قضاء حوائجنا، فقال له الشيخ: من كان بينه وبين شيخه قدر ذراع من تراب فإنه يسمع كلامه، ويقضي حوائجه، وقد أعطاني ربي التصريف في الحياة وبعد الممات، فمن كانت له حاجة عند الله تعالى فليأت إلى قبري ويجلس تجاه وجهي ويذكر حاجته، فأقضيها بقدرة الله تعالى.

(ومن كراماته) الشائعة رضي الله تعالى عنه مما حكاه لي الشيخ المسن البركة الولي الصالح أبو عبدالله سيدي محمد بن عمر الحسناوي السُحيمي رحمه الله تعالى- وكان عيساوي الطريق- قال: بلغني أن قبيلة "سحيم"[2] وفدت على شيخنا في سنة من السنين في شهر ربيع الأنور بمولده صلى الله عليه وآله وسلم، وكان أهل هذه القبيلة كلهم من أتباعه ومن المحبوبين عنده، وكان يقول رضي الله عنه: أهل سحيم أعز علي من أولاد صلبي، فأمر الشيخ أهله باصطناع الطعام لهم وأنزلهم بدار كبرى بإزاء داره، ثم إن الشيخ دخل إلى داره فوجد أهل الدار كلهم

(1) نهر صغير بنواحي مكناس.

(2) قبيلة "سحيم": بطن من قبيلة "مختار"، أخوال الشيخ الكامل، حيث إن أمه السيدة مريم من بني مختار، وكان الشيخ الكامل يحبهم ويعظهم، حيث إنه ولد ونشأ بينهم واكثرهم من أتباعه.

في غاية التعب من قلة عدم المناول فنظر إليهم الشيخ وقال لهم: جعل الله البركـــة فيكم وفي طعامكم وندعو الله سبحانه وتعالى أن يأتيكم بالمعين ممن يقــوم بطــبخ طعام الفقراء الوافدين إلينا، إنه على ذلك قدير، ثم بعد ثلاثة أيام قدم رجل تاجر من أهل فاس واستأذن في الدخول على الشيخ فأذن له في ذلك، فدخل عليه وقبل يديـــه وجلس أمامه، وقال له: يا سيد أنا رجل تاجر من تجار السودان ولك عندي أمانـــة، وهي أربعة وعشرون عبدا ذكورا وإناثا أرسلهم لك معي حاكم السودان، فقال لـــه الشيخ وكيف ذلك؟ فقال له: يا سيدي لما كنت مسافرا في بـــلاد الــسودان بقــصد التجارة، وقد طالت إقامتي هناك، فلما قضيت أشغالي وأردت الرجوع إلى وطنـــي أتاني رسول من طرف حاكمهم، وأمرني أن أتوجه إليه مع الرسول فــذهبت إليـــه ودخلت عليه، فرحب بي وأمرني بالجلوس فجلست وأكرمني غاية الإكرام، ثم قال لي: بلغني عنك أنك مسافر إلى وطنك، فقلت له: إن شاء الله تعالى، فقال لي: عندي إليك حاجة وهي أمانة الله عندك نريد إرسالها معك إلى مولانا وسيدنا الشيخ الكامل القطب سيدي محمد بن عيسى المكناسي– رضي الله تعالى عنه– ونريد من فــضله وإحسانه قبولها مني على وجه الهدية، وتطلب لنا منه الفاتحة والــدعاء الــصالح، فقلت له: يكون لك ذلك– إن شاء الله تعالى– ثم رجعت إلى محلي، فلما قرب السفر أرسل لي العبيد المذكورين، وأرسل معهم ما يكفيهم من الزاد، وقد أرسل لي عبدين صغيرين، وقال لي: هما لك برسم خدمتك في الطريق فسافرت، وتوجهــت إلـــى وطني، وها أنا قد جئتك بالعبيد فأدخلهم الشيخ ونظر إليهم، فأمر بحمل الإناث مـــن قدّامه إلى الدار، وبحمل الذكور إلى البستان بقصد الخدمة والحراسة.

(ومن كراماته) مما وجد بخط الشيخ الولي الصالح سيدي أحمد بـــن عبـــدالله المغربي قال: ومما سمعنا من مناقب الشيخ سيدي محمد بن عيسى نفعنا الله ببركاته آمين، قال: وهو في الحضرة صعدت روحه إلى حضرة القدس، فقيل له: أنت سرّي وموضع علمي من أحبك أحبني ومن أهانك أهانني ومن دخل إلى حضرتك امنتـــه

من الفزع الأكبر وأدخلته الجنة بكرامتي، قلت: يا رب أين مكاني في الفـــردوس؟ قال لي: في الصفا، قلت له: مَنْ وما الصفا؟ فقال لي: الصفا يــصفو منـــه وجـــه المحبين.

وعنه- رضي الله عنه- قال:

من عرق في حضرتي وهو يذكر الله بقلب صافٍ خالصا لوجه الله تعـــالى لا تأكله النار بإذن الله تعالى.

وقال أيضا- رضي الله عنه-:

بالله الذي لا إله إلا هو ولدي لا يموت إلا تائباً.

وقال أيضا:

بالله الذي لا إله إلا هو نحضر إلى ولدي عند الوفاة، ونلقنه كلمـــة الــشهادة، ونطرد عنه الشيطان.

وقال أيضا:

بالله الذي لا إله إلا هو أحضر لأولادي عنـــد الـــصراط، ونجـــذبهم كـــالبرق الخاطف أو الريح العاصف.

وقال أيضا:

بالله الذي لا إله إلا هو نحضر للمريدين عند القبر، ونلقنهم ســؤال الملكـــين، ونطرد عنهم الشيطان.

وقال أيضا:

بالله الذي لا إله إلا هو ندخل الجنة بأولادي المريدين كالريش ببدني.

فقيل له: يا سيدي أنت تقول أولادي من المشرق إلى المغرب إلى بلاد السودان كيف تدخل الجنة بأولادك كالريش ببدنك؟.

قال: يا أولادي يطوّل الله شعري كالسلاسل، وطول السلسلة[1] خمسمائة سـنة وتوثق أولادي فيها كافةً، وأدخل بهم في جنة الفردوس.

وقال- رضي الله عنه-:

أمنع أولادي من ثلاثة أشياء إذا نادوني بقلبٍ خالصٍ واعتقادٍ طيبٍ: أحفظ من الشنق والغرق والحرق.

وقال- رضي الله عنه-:

لو نَدَهَتْ بي- أي استغاثت بي الناس- أحدهم بالمشرق وأحـدهم بـالمغرب وأحدهم بأقصى جبل "قاف" إلا قلت لهم: نعم، أنا عندكم في الحياة وبعـد المـوت، ولكنّ أستحي من جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(1) والقصد من كلام الشيخ الكامل والله اعلم هو شدة تعلقه رضي الله عنه بالمنتسبين اليه يوم القيامة ورجائه من الله سبحانه وتعالى في يوم القيامة ان يدخلهم الجنة بشفاعته.

فصلٌ في ذكر وفاة[1] سيدي محمد بن عيسى

على ما قاله الشيخ الإمام العلامة الأوحد سيدي عبدالرحمن الفاسي في كتابه الموسوم بـ "**ابتهاج القلوب**"، قال:

إن الشيخ الإمام القطب سيدي محمد بن عيسى نفعنا الله ببركاته آمين توفي في سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة من الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية، ودفن بروضة زاويته من جهة الغرب خارج باب البراذعيين من مدينة مكناسة الزيتون حرسها الله تعالى آمين.

قال: وقد أتاه في تلك السنة بقرب وفاته الشيخ الولي الصالح والزناد القادح أبو محمد سيدي عبدالرحمن المجذوب[2]، وأخذ عنه الطريق بعد أخذه عن الشيخ الولي الصالح أبي الحسن سيدي علي الصنهاجي[3] وبعد انصرافه إلى خدمة الشيخ الولي الصالح أبي حفص سيدي عمر الخطاب وأخذه عنه، وبعد أخذه عن الشيخ أعجوبة الدهر سيدي أبى الرَّوَاين المحجوب تلميذ الشيخ سيدي محمد بن عيسى المتوفى المذكور رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

ثم بعد وفاة الشيخ رحمه الله تصدر للمشيخة وتربية المريدين وإرشادهم إلى سبيل الهدى ولده الفرع الكريم الحسيب النسيب الفقيه النبيه الولي الصالح الورع الفاضل سيدي عيسى المهدي.

وكان استقراره- رضي الله عنه- في التصدر للمشيخة بالإذن الصريح من والده رضي الله عنهما وكان أخذه للطريق عن والده بالعهد والصحبة والإذن العام

---

(1) توفي سنة (933هـ/1526م).

(2) أبو زيد عبدالرحمن بن عياد الصنهاجي الدكالي المعروف بالمجذوب، عظيم الحال، باهر الخوارق، دفين مكناس، توفي يوم الأحد الثاني عشر من ذي الحجة 976هـ/1568م.

(3) الولي الشهير أبو الحسن علي بن أحمد الصنهاجي المعروف بالدوار، كان- رحمه الله- من عباد الله الصالحين، وولايته عند أهل فاس قطعية ، كانت وفاته في العشرة الخامسة من القرن العاشر، ودفن خارج باب الفتوح.

وقد فتح الله عليه بالولاية وحصل له منها الحظ الوافر والتحق بحزب سلفه المبارك فما ونى في ذلك ولا قصر بمجلس رضي الله عنه لإرشاد المريدين وإفادة السالكين، فهو البحر الذي لا يجارى في المعارف والأسرار، والآية الكبرى في حل الشبهات من خوارق الأنوار، يتكلم في الحقائق والأذواق كأنها من عوائده، وكلامه مع كل أحد على حسب موارده، معظما لأهل الخصوصية من أصحاب أبيه يلاينهم وينزلهم منازلهم ولا يتعداهم في أمر من الأمور وهم ناظرون إليه وعاكفون عليه منزلا عندهم منزلة شيخهم وكذلك أتباعهم.

وله مآثر جمة- رضي الله تعالى عن جميعهم أجمعين.

الخـــــاتـمــة

اللهم إنا نتوسل إليك بهم فإنهم أحبوك وما أحبوك حتى أحببتهم فبحبك إيـــاهم وصلوا إلى حبك ونحن لم نصل إلى حبهم فيك إلا بحظنا منك فتمم لنا ذلـــك مـــع العافية الشاملة التامة، الكاملة، حتى نلقاك يا أرحم الراحمين.

واعلموا إخواني- أبان الله لي ولكم معالم السعادة، ورزقني الله وإياكم الحسنى وزيادة – أن شيخنا وأستاذنا وسندنا سيدي محمد بن عيسى رضي الله عنـــه منـــذ انتقل إلى دار الكرامة لم تخل الأرض من طائفة من أصحابه يجتمعون على قراءة أحزابه وأوراده وأذكاره ما ماتت طائفة إلا وخلفتها أخرى كانـــت نـــشأت عنهـــا وتعلمت منها وقامت بالأمر في شؤون الطريقة العيساوية الجزولية بعدها وهكذا إلى زماننا هذا ونرجو من الله سبحانه وتعالى أن يبقى ذلك كذلك ما دام القرآن يتلـــى، وسراج الدين يجلى، وكون الأرض لم تخل من أحباب الشيخ ابن عيسى رضي الله تعالى عنه منذ توفي إلى الآن لا ينكره إلا حاسد ولا يجحده إلا معاند، اللهـــم أزح عن خواطرنا شبه المبطلين، واكشف عنا حجب الشكوك ونور بـــصائرنا وقلوبنـــا بـــأنوار اليقـــين، واجعلنـــا مـــن الفـــائزين، المخـــاطبين بقولـــك: ﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾(الحجر:46)، دعواهم فيها: سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آلـــه وصحبه أجمعين إلى يوم الدين آمين.

هنا ينتهي " **مختصر الغزّال في ذكر مناقب فحل الرجال**"[1].

---

(1) هنا ينتهي أصل كتاب مختصر الغزّال حسب النسخة المطبوعة بتونس وبآخر هذه النسخة زيادات وهي مجموعة أحزاب وقصائد لم نكتبها اختصارًا وتيسيرًا على القاري العزيز .

فهرس المراجع

1- الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى، احمد بن خالد الناصري.

2- الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني.

3- الأعلام، خير الدين الزركلي.

4- التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني.

5- جامع اصول الأولياء، شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي.

6- دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، محمد بن علي بن عسكر الحسني.

7- سبك المقال لفك العقال، عبدالواحد محمد بن الطواح .

8- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن اقبر من العلماء والصلحاء بفاس، محمد بن جعفر الكتاني .

8- شرح صحيح مسلم، الإمام الحافظ محيي الدين بن شرف النووي.

9- صحيح مسلم، ابوالحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري.

10- الطبقات الكبرى، عبدالوهاب الشعراني .

11- فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمسلسلات، عبدالحي بن عبدالكبير الكتاني.

12- القاموس المحيط، الفيروزبادي.

13- الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، عبدالرءوف المناوي.

14- كتاب لمن أراد تعريف نسب المصطفي وسلاله النبوة، أحمد بن عبدالله البكري رحمه الله.

15- معجم رضا كحاله.

16- المعجم الصوفي، د/عبدالمنعم الحنفي.

17- معجم المؤلفين الصوفيين، د/محمد احمد برنيقة.

18- المغرب في ترتيب المعرب، ناصرالدين المطرزي.

19- المفاخر العلية في المآثر الشاذلية، أحمد بن محمد بن عباد المحلي الشافعي.

20- الملل والنحل، محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني.

21- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي.

23- المقدمة، ابن خلدون

كتب للمحقق :

1- السلاسل الذهبية في أسانيد الطريقة العيساوية.

2- شعاع الأنوار في مناقب السيد سرّار وأولاده الأخيار.

3- إلحاق الصغير بالكبير في الانتساب للسيد الرفاعي الكبير.

4- ابن عيسى أمير الأولياء.

5- الأحزاب والأوراد العيساوية.

6- شرح تائية الشيخ الكامل.

الفهـــــرس

تم ولله الحمد والمنة